

أهل دنقل

الأعمال السبع عشر للظاهر

مكتبة مدبولي
القاهرة

مقدمة

الدكتور / عبدالعزيز المقالح

« أمل دنقل . . أحاديث وذكريات »

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثالثة

١٩٨٧ هـ - ١٩٨٧ م

لم تكن وفاة أمل دنقل مفاجأة لأحد من الأدباء في الوطن العربي . فقد كان كثير منهم يعيشون على أعصابهم قلقاً وانتظاراً لإعلان نبأ الوفاة ، فمنذ ثلاثة أعوام والشاعر الكبير يتعذب ويتساقط قطرة قطرة ونبضاً نبضاً ، وكان واضحاً بعد اكتشاف نوع الداء الذي انشب أظافره في الجسد النحيل أنه لن يبرح حتى يسلمه للموت ، وأنه لا أمل في العلم ، وأن أقصى ما يقدمه للإنسان العاجز لا يزيد عن تأخير ساعة الوفاة أو إطالة أيام العذاب !!

ومن الملاحظ - ألاحظ ذلك في نفسي - أنه بالرغم

من أن وفاة الشاعر الكبير لم تكن مفاجأة إلا أن إعلانها المتأخر قد هز الشاعر وكان بمثابة صدمة عنيفة لأصدقاء الشاعر ومحبيه أفقدهم القدرة على الكتابة الشعرية أو الثرية على حد سواء ، وبما أنني أحد أصدقاء أمل دنقل واحد الذين رافقوه وقرأوه عن قرب ، فقد أفقدني النبأ المتوقع القدرة على التفكير والقدرة على الإمساك بخيوط التعبير عن ألم الوداع ، واكتفيت باسترجاع بعض الأحاديث والتقاط صور بعض الذكريات الغارقة في قاع الذاكرة ، وبعض هذه الأحاديث والذكريات يعود إلى أيام قليلة وبعضها الآخر يرجع إلى سنوات ، فقد عرفت الشاعر الراحل في أواخر الستينات وقبل أن يظهر ديوانه الأول الذي شغل به الشعراء . وقد ربطت بيننا - منذ أول لقاء - مودة كبرت مع الأيام واتسعت في رحاب الكلمة وزاد تقديري له وإعجابي به عندما أصبح شعره كله صوتاً مكرساً لقضية الشعب العربي في مصر . وبما أن الأحاديث والذكريات عن أمل دنقل الصديق والشاعر - كثيرة وحاضرة بكل وقائعها ورموزها فإنني سأحاول اختيار أقلها

وأقربها إلى الوجدان العام - ولأن النهاية دائماً هي الأقرب وهي في حد ذاتها الذاكرة التي لا تمحى فلنأخذ سنبدأ من النهاية .

الحديث الأخير :

حدثني صديق كان في القاهرة منذ أسابيع فقال : ذهبت إلى المستشفى الذي يرقد فيه الصديق المشترك أمل دنقل ، دخلت الجناح الذي يقيم فيه ، وسألت إحدى الممرضات عنه فأشارت بيدها نحو غرفة معينة ، فتحت الباب ونظرت داخل الغرفة باحثاً عن أمل الذي ودعته منذ خمس سنوات ، لم أجده هناك رأيت إنساناً لا يمكن أن يكون هو الشخص الذي أعرفه عدت أدراجي بعد أن أغلقت الباب ورائي وذهبت مرة أخرى إلى الممرضة لأسأله عن غرفة أمل دنقل الشاعر ، فأشارت مرة أخرى إلى نفس الغرفة ، وعدت لأفتح الباب وأفتش في جوانب الغرفة عن أمل فلم أجده وهممت بالتراجع مرة ثانية إلا أن أمل عرفني فناداني باسمي . صوته هو الذي لم يتغير ، أما

جسمه فقد صار شيئاً آخر ، أي عذاب رهيب يفوق الخيال هذا الذي تعرض له الشاعر ؟ هكذا سألت نفسي وأنا أتوجه نحو السرير الذي يرقد عليه ، وكنت قد قررت أن أتمالك وأن لا يبدو على وجهي أي تأثر أو انفعال يثير في نفسه ، ، الألم ، الأثني ما كدت أراه بتلك الحال حتى انفجرت باكياً ، لكنه قابل بكائي بابتسامة عريضة ثم سألني : لماذا تبكي ؟ اتخاف علي من الموت إنها منيتي المفضلة ، إنه الأمل الأخير ، الطبيب الذي يتفوق دائماً على أمهر الأطباء .. وواصل ابتسامته المنكسرة ، ولأحظت أن قدراً كبيراً من الشجاعة ظل يشع من ملامح وجهه الغائر ..

ومضيت مع الصديق تنجاذب أطراف الحديث وتذكر أمل دنقل القديم ، سنوات العذاب الطويل ، أيام التسكع والجوع ، خلال الفترة التي اشتدت فيها وطأة القهر والظلم والفقر والمطاردة على أمل دنقل قبل أن تشتد عليه وطأة المرض القاتل . قال لي الصديق الذي لن أذكر اسمه بسبب الفقرة التالية من الحديث : لقد كنت في

القاهرة منذ سبع سنوات ، رايت خلالها أمل دنقل أكثر من مرة وذات يوم رأيته كالعادة يذرع الطرقات بحثاً عن صديق يدفع له ثمن الغداء . وعندما رأيته توجه نحوي قائلاً : نصف جنيه ، نصف جنيه فقط ثمن الغداء .

وعندما كنت معه في المستشفى منذ أسابيع مددت يدي إلى جيبتي وأخرجت خمسمائة جنيه وقدمتها إليه في خجل ، ضحك أمل دنقل من تصرفي غير المهذب ، وقال لي : اطو أوراقك يا أخي فلم أعد بحاجة إليها ، كنت منذ سنوات كما تذكر بحاجة إلى ورقة واحدة منها ، وكانت ورقة واحدة تكفي لتسعدني يوماً أو أكثر أما الآن فلا قيمة لها عندي ، إن ما في العالم من هذه الأوراق لا سز شعرة في جفني ، ولا يخفف ألم دقيقة واحدة من عذابي الطويل المرير !!

أطياف ذكرى :

كان قد نشر عدداً غير قليل من القصائد حين التقيت به لأول مرة ، لكنه لم يكن قد أصبح مشهوراً ،

وكان وثيق الصلة بشاعرين من أكبر شعراء القصيدة الجديدة في مصر هما : صلاح عبدالصبور وأحمد عبدالمعطي حجازي ، وكانت علاقته بالآخر وتأثره بشعره أوضح وأصرح . وفي الأعوام الأولى التي تعرف فيها على أمل ابتداء من عام ١٩٦٦ كان أكثر التصاقاً بحجازي وأكثر تأثراً وتقليداً لطريقته في الحياة قبل أن يصير له أسلوبه الخاص وحياته المطلقة التي زادت الظروف في تعقيدها وزادت في الوقت ذاته من عفويتها .

وكانت هزيمة حزيران ٦٧ بداية الانعطاف الحقيقية نحو الشهرة ونحو الشعر ، وليس في هذا ما عيس بعقيرة الشاعر من قريب فقد كرست المآسي العظيمة الشعراء العظام ، ومأساة فلسطين هي التي خلقت وكرست أهم شعرائنا أمثال : محمود درويش وسميح القاسم وغيرهما ، وفي الأيام الأولى للنكسة أو الهزيمة كان أمل دنقل يقرأ قصيدة (زرقاء) قبل النشر وهي قصيدة جريئة أكدت خطواته على طريق الشعر ، وكانت عنواناً لأهم دواوينه (البكاء بين يدي زرقاء اليمامة) كنت يومئذ بجواره ،

حد تحذيره عن مجرد التلغظ بها حتى لا يناله الأذى ، لكنه لم يتردد وسارع في نشرها وجعلها بعد ذلك عنواناً لديوانه الأول ، كما قرأها في أكثر من منتدى شعري وفي أكثر من ملتقى أخوي . . وفي ما تبقى من عام ٦٧ وإلى أوائل السبعينات كانت القصيدة على كل لسان ، فليس قبلها قصيدة وليس بعدها قصيدة نالت ما نالته من الشهرة والذيع ، فقد ارتبطت بالجرح القومي الأكبر ، وكانت تعبيراً عميقاً وصادقاً عن موقف عترة (الشعب العربي) الذي تركه الحكام في صحراء الإهمال يسوق النوق إلى المرعى ويحتلب الأغنام ويحترق أحلام الخصبان حتى إذا ما اشتدت الحرب وأعلنت المعركة ذهبوا إليه يستصرخون فيه روح الحمية ويدعونه إلى الدفاع عن قصورهم المضأة بالمرات والوان الترف .

كانت القصيدة شجاعة وجارحة ، وقد وضعت الأدب الحزيراني من أول يوم في موضعه الصحيح قبل أن

يحاول بعض الشعراء والكتاب أن يجعلوا منه شيئاً آخر ،
 فقد حاول أمل دنقل ونجح في أن يجعل منه أدب مقاومة ،
 مقاومة للأخطاء النابعة من الداخل ، ومقاومة للعدوان
 القادم من الخارج ، أدب مجالدة وتحداً لا أدب استسلام
 ولطم حدود وبكاء عاجز على اللين المراق في صيف
 التعاسة والانكسار !! وكان لا بد لعنترة (الشعب العربي)
 أن يثبت بالدليل القاطع غيابه التام عن المعركة التي دارت
 بين السلطة التي لا يشك في وطنيتها وفي غرورها وبين
 العدو الذي لا يشك في خطره وغطرسته وتنامي أطماعه :
 أيتها النبوة المقدسة ..

لا تسكتي .. فقد سكنت سنة فسنة ..

لكي أنال فضلة الأمان

قيل لي « اخرس .. »

فخرست .. وعميت .. واثمنت بالخصيان

ظللت في عبيد (عيس) أحرس القطعان

اجتز صوفها ..

أرد نوقها ..

أنام في حظائر النسيان

طعامي : الكسرة .. والماء .. وبعض الثمرات اليابسة

وها أنا في ساعة الطعان ..

ساعة أن تحاذل الكماة .. والرماة .. والفرسان ..

دعيت للميدان

أنا الذي ما ذقت لحم الضان ..

أنا الذي لا حول لي أو شان ..

أنا الذي اقصيت عن مجالس الفتيان ،

أدعى إلى الموت .. ولم أدع إلى المجالسة ..

تكلمي أيتها النبوة المقدسة ..

تكلمي .. تكلمي ..

فها أنا على التراب سائل دمي

وهو ظمي .. يطلب المزيد ..

أسائل الصمت الذي يخنقني .

« ما للجمال مشيها وفيدا .. !؟ »

أجندلاً يحملن أم حديدا ١٩٠٠!

(ديوان البكاء بين يدي زرقاء اليمامة ص ٢٨ دار
العودة) .

ولم يقف الشاعر عند حدود هذه الشكوى ولا عند
حدود هذه التساؤلات الفاضحة لما حدث في صبيحة
الخامس من يونيو ، وهو لا يكتفي باستدعاء زرقاء اليمامة
ولكنه في قصيدة أخرى كتبها في الذكرى الأولى لمناخ الهزيمة
يستدعي المتنبي ويجري بينه وبين كافور حواراً ساخراً حول
مصر - خولة - الفتاة العربية التي اختطفها الرومان من
- أريحا - بعد أن ذبحوا شقيقها :

دسا.لني كافور عن حزني

فقلت إنها تعيش الآن في بيزنطة

شريدة .. كالقطة

تصيح (كافوراه .. كافوراه)

فصاح في غلامه أن يشتري جارية رومية

تجلد كي تصيح (واروماه .. واروماه ..)
.. لكي يكون العين بالعين
والسن بالسن ! »

ويصل الانفعال مداه ، كما تصل الشجاعة أيضاً
مداها في محاولته الجرئية فضح القيادة العسكرية المهلهلة ،
وقد استخدم عنصر التضمين الشعري كأقوى وأجود ما
يكون الاستخدام وأصبحت الأبيات المضمنة أكثر التحاماً
وتداخلاً في بناء القصيدة وفي إعطائها الدلالة الرمزية
التأريخية وليس كما فعل ويفعل بعض شعراء القصيدة
الجديدة الذين يقومون بما يشبه عملية (اللصق واللزق)
حيث يظل أسلوب التضمين سطحياً وناشراً عن السياق
الفني والنفسي ، وقد رأينا في المثال الأول كيف نجح في
دمج البيت الشهير (ما للجمال مشيها وثيدا) ولتر الآن
كيف ومتى ولماذا ، جاء بأبيات المتنبي في آخر قصيدته
الغاضبة « من مذكرات المتنبي في مصر » وهي في رأيي من
معالم شعر ما بعد حزيران :

تسألني جاريقي ان اكرتي للبيت حراسا
فقد طغى اللصوص في مصر .. بلا رادع
فقلت : هذا سيفي القاطع
ضعيه خلف الباب .. متراسا
(ما حاجتي للسيف مشهورا
ما دمت قد جاورت كافورا ؟)
« عيد بأية حال عدت يا عيد ؟ »

بما مضى ؟ أم لأرضي فيك تهويد ؟
(نامت نواظير مصر) عن عساكرها
وحاربت بدلا منها الأناشيد
ناديت يا نيل هل تجري المياه دما
لكي تفيض ، ويصحو الأهل إن نودوا ؟
« عيد بأية حال عدت يا عيد ؟ »

لقد حقق أمل دنقل بقصائده الجريئة عن النكسة
وآثارها شهرة واسعة ، وتحقق له من النجاح في عام واحد

ما لم يتحقق له في سبع سنوات هي عمر كل محاولاته
الشعرية السابقة . كان الطريق إلى الشعر قبل ذلك طويلاً
وشاقاً أما الآن فقد صار أقصر مما كان يظن وإن كان ما
يزال أشق مما كان يتوقع وذلك بسبب الاصرار على الجنوح
إلى كتابة الشعر اللاذع ، وبسبب اختياره الطريق التبيل
والصعب ، طريق اشعال الحرائق في وجدان الجماهير
النائمة المهزومة ، تلك الجماهير التي كانوا وما يزالون
يتحدثون عنها في القصائد وفي الخطابات وفي الصحف كما
يتحدثون عن فتران التجارب وأرانب المعامل ولكن دون
إحساس حقيقي بما تعاني ولعل أهم ميزة يتميز بها شاعر
كبير كأمل دنقل أنه لم يكن يخاف من شيء أو يخاف على
شيء وقد ساعدته عفويته المنطلقة وطبيعته غير المنضبطة
على الاحتفاظ بنقائه وتمرده ..

أطياف حديث :

بعد ثلاثة أعوام تقريباً من وقوع الهزيمة التي مزقت

حياة العرب المعاصرين وشوهت معالم الأيام العربية ،
رحل المناضل جمال عبدالناصر ، وكانت وفاته أو بالأصح
كان غيابه عن الساحة العربية في مثل تلك الظروف
الفاجعة هزيمة أخرى ، وبعد رحيل عبدالناصر بأربعين
يوماً التقى الشعراء العرب من مختلف الأقطار العربية
لتأبين الزعيم الراحل وفي الاستراحة الجانبية للقاعة
الكبرى للاتحاد الاشتراكي ، كان عدد من الشعراء والنقاد
يقطعون الوقت في انتظار لحظة افتتاح الاحتفال التأبيني ،
وكنتم قد أخذت لي مكاناً بينهم ، وكان أمل دنقل قد
اختار مكاناً قصباً في الاستراحة وحيداً وبعيداً عن
الآخرين ، كان يبدو متوتراً ، يكثر من التدخين وكأنه
يلتهم السجائر التهاماً وبين حين وآخر ينظر إلى السقف
كأنما يحاول اختراقه بنظراته الحادة . قال أحد الحاضرين
لعله يعاني من حالة شعرية وربما كان متوحداً لأن قصيدة
الربا لم تكتمل بعد ، وقال آخر ربما أن أحد الحاضرين قد
حاول الاساءة إليه فابتعد مؤقتاً ليلدد شحنة الغضب ثم
يعود إلينا ليملاً المكان بملاحظات وضحكاته (وقفشاته)

المختلفة ، وانطلق صوت شاعر شاب يقول : إن أمل
يعاني من حالة حزن حقيقي لغياب عبدالناصر ، فقد كان
الرجل بالرغم من كل شيء الحارس الأمين للكلمة
والشعرية منها خاصة . واستقر الحديث بعد أن جال وتنقل
في ميادين شتى حول عبدالناصر وكيف كان يتعامل مع
الأدباء بطريقة تختلف تماماً عن تعامله مع السياسيين
وينحسب ذلك التعامل على الأدباء الملتزمين أو
المتسيبين . وقد نال الشعراء بخاسة طوال عهده حظوة
كبيرة وشملهم برعاية خاصة ، فهو لا يسمح للأجهزة
بمصادرة أعمالهم الأدبية أو يمنعهم عن النشر والسفر ، ولم
يكن يسمح للصحافة في مصر أن تتناول بالاساءة أيًا من
شعراء العرب الذين يختلفون مع النظام الناصري . حدث
ذلك مع سليمان العيسى ، ومع الجواهري ، ومع
البياتي ، ومع الفيتوري ، ونزار قباني ، وقد اشتهر لكل
هؤلاء قصيدة أو أكثر في مهاجمة شخص عبدالناصر
بالذات وقد ظلت القاهرة مفتوحة لهم بعد موافقهم ، كما

كانت قبل ذلك ، وقد ظهر في وقت متأخر من حياة
عبد الناصر بعض المتشاعرين الذين حاولوا من منطلق
المنافسة غير المتكافئة الاساءة والتشويه المتعمد لأدوار
ومواقف بعض الشعراء خارج مصر مما اضطر عبد الناصر
نفسه إلى أن يتدخل ويضع حداً لهذه الظاهرة المعادية
للشعر والشعراء .

كان عبد الناصر - إذن - بحسه الثوري يدرك أن
الشاعر الحقيقي في مصر أو في بقية الأقطار العربية يشكل
طاقة حدى واكتشاف خلاقه فالشاعر ليس كزرقاء اليمامة
ترى الأشياء عن بعد ولكنه يرى الأشياء والأحداث بعين
بصيرته الشعرية ويتنبأ بها قبل وقوعها وقد نشر الشعراء في
مصر قصائد تنبأت بالنكسة ونهت إلى ما حدث قبل أن
يحدث ، ونشرت الأهرام في ما تذكر قصيدة للشاعر محمد
إبراهيم أبو سنة قبل النكسة بأسابيع وكان عنوان القصيدة
(نحن غزاة مدينتنا) وكأنما كانت تقرأ ما سوف يحدث في
صحائف مكتوبة من قبل .

... لا يدرون
أن كل واحد من الماشين
صلاح الدين .

كان الليل داكناً مكتئباً حين رجعتنا من حفل
... وكانت الأضواء الصفراء في الميادين والطرقات قد
... وكان زميلنا الذي يقود سيارته
... أطلقه أمل دنقل ،
... بوح حائط المبكى إلى التراب ...

« امل دنقل وانشودة البساطة في الشعر »

كان وصف (الشاعر الصعلوك) يتردد كثيراً في الأوساط الأدبية المصرية كلما ذكر امل دنقل وكثيراً ما قيل هذا الوصف بحضوره فيضحك ويعتبر هذا الوصف أو اللقب إذا جاز أنه كذلك ، يعتبره تحية كريمة لشاعر معاصر ينأى بنفسه عن الاقتداء بالشعراء المدجنين شعراء الحواضر والصالونات المعطرة والبذلات الأنيقة والسيارات الفارهة . كان واحداً من موكب جليل للشعراء الصعاليك المعاصرين الذين يرغبون عن عالم المغريات المختلفة وأن يظلوا خفافاً نظافاً لا تأسروهم زينة الحياة الدنيا ولا تشدهم إلا بمقدار ما تمكنهم معطيائها الصغيرة من الكتابة والابداع .

ومن حسن حظ الشعر العربي في مصر وفي بقية انحاء العربية أن الشعراء الحقيقيين لم يرتفع بهم شعرهم أبداً إلى مستوى البذخ المادي والثرف الحياتي ، وقد أثبت الشعر على مر العصور بما في ذلك عصر الحديث أنه كفيل بأن لا يلحق اسراره العميقة ولا يتبع ناره المقدسة إلا في النفوس الزاهدة والقلوب البريئة من التطلعات المريضة ، وقد ظلت تلك هي أبرز سمات شعراء الحقيقيين جيلاً بعد جيل فلم تطوح بهم الرغبات الخاصة وتدفع بهم بعيداً إلى سرايب مضاء تصرفهم عن شعر وتصرفهم عن الناس ، وإن كان قد حدث غير ذلك فهو استثناء عن القاعدة والاستثناء كما يقول المناطقة لا يعول عليه ولا يؤخذ به .

وقد كانت الصورة الشائعة عن امل دنقل هي صورة لشاعر الصعلوك ، لكنه كان صورة فريدة في صعلكته وفي محافظته على تقاليد الصعلكة الشعرية بثوبها المعاصر ، وقد سمعت من يحاول أن يقارن بينه وبين الشاعر المرحوم

عبد الحميد الديب الذي هزت أخبار بؤسه الثلاثينات والأربعينات وحفلت المقاهي والمستديبات في تلك الفترة بأحاديث بؤسه وبمطارحاته وإهاجيه المتنوعة ، إلا أن الفارق بين الشاعرين كبير والفارق بين الصعلكتين أكبر ، صحيح أن البؤس الذي عانى منه الشاعران كلاهما متشابه ويكاد يكون واحداً إلا أن بؤس الأول ذاتي وناتج عن نهم شديد إلى الحياة في حين أن بؤس الآخر عام وناتج عن زهد في الحياة ، ولو أن الشاعر الأول وجد الأبواب الواسعة إلى النعيم كما وجدها الثاني لما تردد عن دخولها غير هيب ولا متحرج وهذا الفارق الأخير يكفي لمعرفة ما بين الشاعرين من تباين واختلاف وفضلاً عن هذا وذاك فإن أمل دنقل شاعر يمثل مرحلة اجتماعية مختلفة كل الاختلاف عن المرحلة التي ظهر فيها عبد الحميد الديب والمهموم التي حاول التعبير عنها تختلف كذلك عن هموم المراحل السابقة كلها .

لقد انفق أمل دنقل ساعات كثيرة من حياته في

نذهي - كما فعل عبد الحميد الديب تماماً لكن أحاديث نذهي اختلفت والقصد من إرتياد المقهى اختلف أيضاً ، قضية التي تروق أمل دنقل ما كانت لتخطر على ذهن عبد حميد الديب ، وإذا كانت قد خطرت على ذهنه فبقدر كبير من الغموض ، وإذا كنت قد أشرت في ما سبق من حديث الذكريات فإن شريطاً طويلاً حافلاً بالذكريات التي تنوأكب من قاع الأيام الراحلة ، ولعل أكثرها بروزاً ووضوحاً صورة أمل دنقل في بيته أو بالأصح في إحدى الشقق الكثيرة التي استأجرها الواحدة بعد الأخرى لتكون مقراً للنوم . كانت واحدة منها شقة أرضية من غرفتين في ميدان المعجزة استأجرها لفترة وعاش فيها مع زميله لصديق الشاعر حسن توفيق ، وقد زرتهما في هذه الشقة عشرات المرات رافقني في معظم تلك الزيارات الصديق الشاعر محمد الشرفي أثناء عمله في سفارتنا بالقاهرة ، وقد اعتدنا أن نذهب إلى الشقة قبيل الغروب ، وفي كل مرة كنا نرى أمل دنقل إما نائماً أو مشغولاً بأعداد طعام الغداء

مع زميله ، وكنا نقضي فترة انتظارهما للطعام في حديث
عن الشعر والأدب وفي قراءة بعض القصائد وكان الغداء
متواضعاً في كل يوم ولا يزيد عن البطاطس وأرغفة الخبز
وبعض الأوراق الخضراء . وكثيراً ما امضينا الساعات
الطويلة بعد أن يتناول الشعاران البائسان غداً هاماً أو
عشاءهما في أحاديث أدبية ، وفي معظم الأحيان كنا نتوجه
إلى دار الأدباء أو إلى منزل الصديق محمد الشرفي لقضاء
سهرة أدبية لا تقتصر على أمل وزميلة ، إذ غالباً ما ينضم
إليها صلاح عبدالصبور وأحمد عبدالمعطي حجازي وغيرها
من الأدباء والشعراء الكبار الذين يضيئون الليالي
بأحاديث الفكر والأدب وبروائح الشعر ، ولعل الفترة التي
قضناها أمل دنقل في شقة ميدان العجوزة أسوأ فترات
حياته وأحفلها بالمتاعب وانتفاء الاستقرار وقد وصل الحال
به ويؤمئذه الشاعر حسن توفيق إلى أن يتبادلاً ارتداء قميص
واحد في الحفلات والسهرات ولعدة أشهر ، فإذا خرج
أحدهما انتظر الآخر في المنزل حتى يعود زميله ، والغريب

مع زميله من ذلك الحال وربما بسببه فقد كانت تلك
الفترة هي أخطر وأهم سنوات الانتاج الشعري وأهم
سنوات المواجهة الحادة بالكلمة ، وفي هذه الفترة كتب أمل
بعض قصائده وأجملها واكتسب شهرة فائقة قفزت به من بين
نعماء الشباب إلى مستوى صلاح عبدالصبور وأحمد
عبدالمعطي حجازي إن لم تكن قد تجاوزت به هذين
شاعرين الكبارين . وكانت قصيدته (أغنية الكعكة
حجرية) حدثاً في تاريخ الشعر السياسي في مصر وفي
شعر العربي بأجمعه ، وقد كتبها وسط مظاهرات الطلاب
بمصادماتهم الشهيرة مع شرطة النظام في عام ١٩٧٢ م
ينها هذا المقطع الذي يخاطب الشاعر فيه مصر التي
رعت يومئذ من خلال مظاهرات الطلاب وتلمل
الشعب :

أذكريني ١١

فقد لوثني العناوين

في الصحف الخائنة

لوثني لأنني منذ الهزيمة لا لون لي

غير لون الضياع

قبلها كنت اقرأ في صفحة الرمل

والرمل أصبح كالعملة الصعبة

الرمل أصبح أبسطه تحت اقدام جيش الدفاع !

فاذكريني ، كما تذكرين المهرب والمطرب العاطفي ..

وكاب العقيد ... وزينة رأس السنة

اذكريني إذا نسيتني شهود العيان

ومضبطة البرلمان

وقائمة التهم المعلنة

الوداع !

الوداع !

(من ديوان العهد الآتي) .

أنشودة البساطة :

كان أمل دنقل شاعر البساطة في زمن التعقيد

والغموض ، وأول ما يلفت الانتباه في قصائده البساطة

الحادة المصقولة التي تتحول إلى أنشودة مفرطة التواضع

« وأنشودة البساطة » تعبير حديث أطلقه بين شباب الكتاب

شعراء الكاتب الفنان يحيى حقي ، والبساطة عند ذلك

صبح نوقور - كما فهمها جيل أمل دنقل - لا تعني التمرد

على قواعد اللغوية أو الخروج على الأسس الفنية للكتابة ،

ولا تعني الرقة والتبسيط ، إنما تعني تلقائية تناول أو عفوية

التعبير ، والابتعاد عن خشونة اللفظ إلى خشونة المعنى ،

تحويل العمل الأدبي من شعر لا يفهم محتواه سوى نفر

نيل من الكتاب .. إلى أنشودة جماعية وإلى لغة فن

يوجدان . ومن السهل جداً أن يتبع المتلقي فضلاً عن

مدارس تجربة أمل دنقل الشعرية وأن يتبين ملامح القراءة

في هذه التجربة التي تختلف عن تجربة الآخرين من زملائه

ومن الشعراء الذين سبقوه وقد ظلت تجربته متميزة منذ

لبداية الصحيحة إلى أن توقفت مع الوفاة . وكانت

سأطته في التناول تجعله يرى أن الفرار من المباشرة لا يعني

فرار من المحيط المباشر للواقع ، ولا تعني الفرار من

مواجهة العذاب الانساني والخراب والدمار والتشويه ،

وهذا الموقف جعله لا يقيم كبير وزن لما يسمى بالألفاظ

الشعرية . أو بالمعاني المعقدة ، وهو في نثره القليل الذي تضمنته مقابلاته المنشورة في الصحف والمجلات لا يكف عن الهجوم السافر الحاد على كثير من شعراء القصيدة « المتجاوزة » وهو يرى أن معظم التجاوز يقف عند دائرة اللغة وحدها وعند الشكل وحده وهو يعتقد أن ذلك الصنع لا يزيد عن كونه نوعاً من الهروب عن مواجهة الواقع « ولأن فقدان الثقة عند الشاعر في تغيير هذا الواقع قد أدى به إلى أنواع من استجلاب وسائل فنية في ظل حضارة مختلفة ومحاولة فرضها على المجتمع الثقافي - العربي ، ومن هنا تحول الشعر الحديث إلى شعر مثقفين ، في حين أن وظيفته الأساسية هي في ارتباطه بالناس . وقد كان انتصار الشعر الجديد منذ البداية راجعاً إلى ارتباطه بالناس ، وتحاويلهم بالتالي معه ، وتخليهم عن الشكل القديم . . وما يؤدي إليه هذا التجاوز الحديث عن المطلقات . . ومن هنا فإن هذا التجاوز للواقع يحتاج إلى تجاوز للطرائق الفنية التي يتم بها التعبير عن هذا الواقع ، واستحداث طرائق بديلة واستجلاب لمذاهب فنية ، أو

خوياً إلى الايهام بمحاولة تغيير الواقع أو الايهام بالثورة عن طريق ثورة شكلية فقط . . الشعر لا يلقي أسراراً عميقة ولا يضع ناره المقدسة إلا في النفوس الواجدة وفي غلوب البرية من التطلعات المريضة « أي تكون الثورة على مستوى الشكل فقط . ندوة مجلة فصول عن قضايا الشعر المعاصر المجلد الأول العدد الرابع يوليو ١٩٨١ م) .

ومهما يكن نصيب وجهة النظر هذه من الخطأ أو الصواب فإن وراءها موقف شاعر كبير يدرك أنه خارج من احزان أمة كبيرة أسيرة اخطبوط خطير هائل من المعاناة والمشاكل ولا بد من أن تحس بالخطر الذي يتهدها ، ومهمة الشاعر بالذات أن يوصل هذا الاحساس إلى وعي الأمة وأن لا تتحول قصائده إلى مفردات قاموسية مجردة عن أي معنى أو إلى معان مطلقة تسعى إلى تخدير الوعي وامانة الحواس بدلاً من ايقاظها ، وفي مرحلة الهوان والانحطاط كالمرحلة التي نعيشها الآن لا بد أن يتخلى الشاعر عن

الوقوف في دائرة الأحلام الذاتية وقبل أن يحاول التحرر من القوالب الميتة أو التي يراها كذلك عليه أن يتجنب الوقوع في ما هو أخطر من هذه القوالب كالشكلية وتزييف الواقع ، تلك هي بساطة أمل دنقل التي جعلت من شعره صوتاً عميقاً وبسيطاً ، ومن المهم قبل ذلك وبعد ذلك أن نعلم أنه هو نفسه قد كان انشودة من البساطة والتواضع .

تمجيد التمرد في زمن الخنوع :

قضية الاساءة إلى الشعراء وتكفيرهم ومحاولة الانتقام من كبارهم تحت مختلف الادعاءات ، قضية شغلت الجانب الأكبر من تاريخ الشعر العربي ، ولم يسلم في الماضي من تهمة الزندقة والاختاد سوى صغار الشعراء ومن لا وزن لهم في الحياة والشعر على السواء . وقد شغلت هذه القضية عدداً من الباحثين ، وقد تلقيت منذ وقت قصير رسالة من باحث صديق تشغله القضية وبعد عنها رسالة دكتوراه ، يعكف عليها منذ خمسة أعوام . وقد لخص الهدف الذي يسعى إليه من دراسته بمحاولة التعرف

من الأسباب الكامنة وراء محنة الشعراء ولماذا الشعراء . ت ، وقد رأى من خلال البحث الموضوعي القائل من نزاهة والصراحة - وهو يكتب الشعر - رأى أن كثير من التهم التي توجهت نحو الشعراء قد كانت موجهة في حريته ذاته نحو الفلاسفة ورجال الدين وأصحاب السبب والمتكلمين ولكنها كانت مع الشعراء - عبء معصور - أكثر حدة فلم تذيب التهم الكبيرة فيلسوفاً وإنما ذهبت إلى قتل رجل دين لكنها قتلت كبار الشعراء ، لماذا هذا هو السؤال الذي يبحث صديقي في رسالته للدكتور . عن الاجابة عليه وهو يتلمسه عند عدد من الشعراء الأحياء وعند بعض الأدباء الذين تؤرقهم المحنة التي أصحبت إلى عصرنا من سلبيات العصور القديمة .

تذكرت محنة الشعراء هذه الأيام وأنا أعيش ذكريات محنة صديقي الشاعر أمل دنقل فقد عانى بالإضافة إلى محنة الفقر والتشرد وإلى محنة القمع والارهاب محنة التكفير مع محنة التكفير ، وكانت قصيدته « كلمات سبارتاكوس »

الأخيرة « واحدة من القصائد التي وضعها » زعماء محاكم التفتيش « على مشرحة التكفير ، والقصيدة تدعو إلى التمرد ضد الطغيان وتمجد دور العبد سبارتاكوس الذي امتشق السيف في وجه العبودية وفي وجه روما العابثة بانسانية الانسان ومطلع القصيدة وهو الأكثر اثارة يقول :

المجد للشيطان .. معبود الرياح

من قال (لا) في وجه من قالوا (نعم)

من علم الانسان تمزيق العدم

من قال (لا) .. فلم يمِت ،

وظل روحاً أبدية الألم !

المجد هنا ، ليس للشيطان (ابليس) ولكنه للشيطان (سبارتاكوس) ذلك العبد الشجاع الذي اشتاقت نفسه للحرية فقال (لا) في وجه (القيصر) وكانت النتيجة أن اسمه ظل على كل لسان وظلت روحه الأبدية الألم تززع الشجاعة في نفوس العبيد وتدفع بهم إلى الصفوف الأولى من المواجهة ، وقد فهم صغار العقول في

حكم التفتيش المعاصرة أن الشاعر يجد ابليس وأنه بذلك قد كفر ، وأن دمه قد صار حلالاً . وقد حاول صغار العقول هؤلاء أن يصلوا بصرخاتهم الحاقدة إلى (أهل حق والعقد) إلا أن الصرخات ضاعت في أرض مصر البرسعة الأرجاء ، وظلت تتردد همساً في دهاليز الكراهية . أن رحل الشاعر عن عالم الحقد والطغيان وأخذ الله إلى حوزة الرحيم الكريم .

لقد كتب الشاعر قصيدته في الاسكندرية وفي شارع الإسكندر الأكبر وهو يتذكر الجموع الفقيرة الغفيرة وهي تسير في الشوارع محنية الظهر مثقلة الأعناق كقطيع الأغنام ؛ لا صوت يرتفع بكلمة (لا) الكلمة السائدة والشائعة هي (نعم) مصحوبة بالنسبة المعروفة (٩٩،٩٩) تذكر الشاعر كل ذلك فكتب قصيدته التي حاول فيها أن يعلم الجماهير العربية المضطهدة أن تقول (لا) حتى وإن كانت العقابة لا تختلف كثيراً عن عقابة ذلك الثائر المعلق في مشنقة على مدخل المدينة الظالمة :

معلق أنا على مشائق الصباح

وجبهتي - بالموت - مخنية

لأنني لم أحنها .. حية

.....

يا اخوتي الذين يعبرون في الميدان مطربين

منحدرين في نهاية المساء

في شارع الاسكندر الأكبر :

لا تمجلوا .. ولترفعوا عيونكم إلي

لأنكم معلقون جانبي .. على مشائق القبصر ..

فلترفعوا عيونكم إلي

لربما .. إذا التفت عيونكم بالموت في عيني

ينسم الفناء داخلي ..

لأنكم رفعتم رأسكم مرة .

وبعد أن ظهرت آلام المرض العنيف روح الشاعر

الكبير وجسده الهزيل ، وعندما رحل إلى جوار ربه الغفور

الرحيم لا أشك في أنه قد غفر لخصومه من أنصار محاكم

نتيش ودعاة التكفير ولكن هل اعتذر له هؤلاء هل

ولوا أن يستغفروا لذنبهم الكبير ، ذنب اتهام المبدعين

بقتل المواهب ؟ كان الشاعر متهاً منذ كان متنبى

بيلة وصوت احزانها ، ورجال الدين يتهمونه بالتجديف

الحاد .. ورجال السلطة يتهمونه بالخروج على النظام

طليم الاستقرار الموهوم ومن سوء حظ الشاعر الحقيقي

العصر الحديث أن التهم القديمة لم تتغير ولم تتطور

برات العصر وتطوراته .. في مواجهة جدار اليأس

أحباط

آه .. ما أقسى الجدار

عندما ينهض في وجه الشروق

ربما تنفق كل العمر .. كي تثقب ثغره

ليمر النور للأجيال مره !

.....

ربما لو لم يكن هذا الجدار ..

ما عرفنا قيمة الضوء الطليق .. !

(سيزيف) ذلك البطل الأسطوري المحكوم عليه بحمل الصخرة إلى القمة لكي تعود إلى القاع ثم يعود هو إلى حملها من جديد إلى القمة في رحلة عذاب لا تنتهي بين القاع والقمة (سيزيف) هذا أي معنى لحياته التافهة المكرورة إن خلت من هذا العذاب المظني الرتيب . وأي عذاب للإنسان بدون هذا الجدار الذي يحاول بجهده الإنساني أن يفتح عليه ثغرة للنور ، نور المعرفة والتغيير إلى الأفضل والأجمل والأنقى . . وإذا كان الشاعر الكبير امل دنقل قد ظل يحفر في الجدار ورحل قبل أن يتدفق شلال للنور المنتظر فإن كلماته ستظل تواصل الحفر والطرق على وجه الجدار الواقف في وجه الشروق إلى أن ينهدم الجدار ويتدفق انهاراً من الاشواء ، فمن غير المعقول أن تظل الأرض العربية تتزف دماً . وان يظل ابناؤها هكذا حيارى يفترسهم الارهاب وتتقاذفهم الهموم إلى نهاية العالم .

وضع امل دنقل هذا المقطع الصغير افتتاحية لديوانه الأول (البكاء بين يدي زرقاء اليمامة) واختيار هذا المقطع وللحرص على أن يتصدر فاتحة الديوان (البداية) لذلك كله مغزى خطير يلخص بمرارة خيبة الأمل والشعور بالعجز ازاء مختلف اشكال الاحباط في الواقع العربي المعاصر .

وصورة هذا الجدار الذي ينهض في وجه الشروق الخاص وفي وجه الشروق العام ليسد النور ويمنع كل ومضة امل . . صورة هذا الجدار تعكس منذ البداية الشعور البائس المحبط ، ولكنها في الوقت ذاته تكشف عن استعداد شعجاع وجريء لمواجهة هذا الجدار ومحاولة التغلب عليه ، وكأني بالشاعر في بداية حياته يشعر بوعورة الطريق واتساع المسافة لكن تفاؤل الشباب جعله وهو يقترب من الجدار يشعر بالزهو لأن الجدار يعطي لحياته قيمة ويعطيها معنى ، فأى معنى لحياة لا معاناة فيها ولا مكابدة . حتى

أخيراً أي شعور حزين يعت
بالكلمات شاعراً عظيماً عاش .
وللوطن . وأي احساس فاجع ؛
نكتب بالكلمات كل يوم سوى رثا .
ابناء هذا الوطن ولأروع ما
ونقاء

الدكتور عبا

مقتل القمر

الاهداء

إلى الاسكندرية
سنوات الصبا

أحسُّ حبال عينيك
 شيءٍ داخلي يبكي
 أحسُّ خطيئة الماضي تعرَّت بين كفيك
 وعنقوداً من التفاح في عيني خضراوين
 أنسى رحلة الآثام في عيني فردوسين ؟
 وحتى أين ؟
 تعذّبنى خطيئاتي .. بعيداً عن مواعيدك
 وتحرقني اشتهاؤاتي قريباً من عناكيدك !
 وفي صدري
 صبي أحمر الأظفار والماضي
 يخطط في تراب الروح ،
 في أنقاض أنقاضى !
 وأنظر نحو عينيك

فترعشنى طهارة حب

وتفرقنى اختلاجة هذب

والمح — من خلال الموج — وجه الرب

يؤنبنى

على نيران أنفاسى يقلبنى

وأطرق ...

والصراع المر فى جوفى يعذبنى !!

... ..

أحرق فى خضوب الصيف فى شفتيك :

يموى داخلى الحرمان

(لهيب آدمى الشوق ، مصباحان يرتعشان)

وأهرب نحو عينيك :

يطالعنى الندى والله والغفران !

وأسقط بين نهديك

لتحترق الروءى

وأغرق فيهما بالنار والشك

فمشوى رغبتي شيا

وأغمض عنك عينيا

وأسند رأسى الملقوح فى صدرك

فقد تترمد الأفكار فى جمرک

وأحرق جنة المأوى

... ..

فيا ذات العيون الخضر

دعى عينيك مغمضتين فوق السر

.. لأصبح حر !!

طفلتها

(.. مرت محس سنوات عل الوداع وفجأة .. رأى طفلتها !)

لانتقري من يدي عنتيه

.. نحت النار بحوف المدفأة !

أنا ..

(لوتدريين)

من كنت له طفله

لولا زيمان فجأه

كان في كفى ما ضيعته

في وعود الكلمات المرجأه

كان في جنبي

لم أدر به !

.. أو يلدري البحر قدر اللؤلؤة ؟

.. نمرت عمر ضائع من شباني

.. سرب الخطئة

.. نرت بعام

.. نرت مهجتي عاماً

.. نقت صدأه

.. نعمل من الماضي

.. نرى ذكريات في الأمسى مهترته

.. نرى بالديجي

.. نجي للذي ضل مناه ..

.. !!

• • •

.. عيون الواسعات الهادئة

.. شفاه الحلوة الممتلئة :

.. طفلة

.. كرها

وهي عن سبعة عشر منبئة

إننى أعرفها

فافترنى

فكلانا فى طريق أخطاه

ساقنى حمقى

وفى حلقى مرارة شوق

وأمان صدته

فابسمى ياطفلتى

(منذ مضت ... وابتسامات الضحى منطفئة)

ثرثرى

(صوتك موسيقى حكمت صوتها ذا النبرات المدفئة)

— « إحلّ لى أحجية »

— لم يبق فى جمعيتى

غير الحكايا السيئة

فاسمعيها يا ابنتى مسرعة

عبرت فيها الليالى .. مبطفة

.....

« كان يا ما كان »

.. حتى

.. ينث إلا .. مبداه

.. ذات ثغر يشتى قبلة الشمس

.. ضماه

.. حب بها ؛ فاستسلمت

.. حب به ؛ فاستمرأه

.. نه صعدت مركبه

.. حتى

.. قصة مبتدئة

.. مر فى شرفته مرتقب

.. مر فى شباكها .. متكئة

.. مقسم

.. ينثي حلم

.. وحلم بداه

.. صعدا

.. سمة ..

.. سمة ..

في قصور الأمنيات المنشأة
لم تكن تملك إلا طهرها
لم يكن يملك إلا مبدأه

• • •

ذات يوم
كان أن شاهدها
من له أن يشتري نصف امرأة
حينما أوما لها مبتسماً
فأشاحت عنه
كالمستهزئة
اشتراها في الدجي
صاغرة
زفت السبعة عشر .. للمئة
لم يكن شاعرهما فارسها
لم يكن يملك إلا ..
التهينة

لم يكن يملك إلا مبدأه
ليس إلا ..
كلمات مطفأة

• • •

أترى تدرين من كان الفتى ؟
فهو يدري الآن
يدري خطأه !
والتي بيعت وفي معصمها الوشم
فاعتاد الفؤاد الطأطأة ؟
ومن النحاس ؟
هل تدريته ؟
وهو ملأح تناسى مرفأه
اننى أكرهه
يكرهه ضوء مصباح نبيل أطفأه
غير أن الحقد ..
(يا طفلة)

وأنت يا حبيبي
طير على سفر

• • •

ويرحل المطر
ويذبل الشجر
ويغمر الغبار النقوش والصور
... ..

وتهبط الأحزان
فتمحي الألوان
والقلب
والخطوط العرجاء
والأسمان
وبنخر السوس القديم في العيدان
وترحل الطيور الزرق
بلا عنوان
تسأل عن هوانا
تسأل عما كان

.. ماكان يا حبيبي
حلم ؛ وقد عبر !

• • •

وينزل المطر
ويرحل المطر
وينزل المطر
ويرحل المطر
والقلب يا حبيبي
مازال ينتظر

قلبي .. والعيون الخضر

- ١ -

صبياً كان

شدت على يديه القوس

أعلمه الرماية

(كى يفوق بقية الأقران)

« فلما اشتد ساعده .. »

.....

ثلاث سنين

أبارز قلبي المفتون

يجمع بيننا ليل ، ويفصلنا نهار قتال

تظل على — خلف لثامه — عيان خضراوان

(كأوردة تلون بطن ركة عانس عجفاء)

وقبلا .. كانتا في وجه قديسة !

• • •

ثلاث سنين

يتنازلى ، أنازله

هت ساخن ، وغبار

يرف على الفم المزموم ،

نميرين فوق العشب والأسوار

وكان الفخ قرب الباب

سقطت ملوث الرتين والأثواب

شاحت عنى العينان

وكنت تراب

وكان يدبر لى كتفيه فى استهزاء

.. وتعرف أنت

ماذا يفعل المغلوب مثلى

حين يوليه العدو الظهر ؟

وفى كفى بقايا سهم

.....

• • •

وطفلاً كنت ، كالأطفال

ومركبة من الكلمات تحملنى لعرش الشمس

وقلدنى الهوى سيفه :

« إلى ذات العيون الخضر »

وكوكبة من الربات مصطفة

« إلى ذات العيون الخضر »

وقريتنا — وراء العين — تورا من الصمت

وثرثرة من الغدران

وصوت الطبل

يدق لينزع القمر القديم نفاه المعتل

وطفل شاحب ينهض

تزغرد نسوة لختانه المدسوس في جلبابه الأبيض

وفوق الجسر

غلام لاهث يعدو

ليمسك مهرة فرت وفي سيقانها يتعلق القيد

... ..

ومركبتى تشد الأفق مخروطة الدرب

« إلى ذات العيون الخضر »

تلال السحب تهرب من ورائى كومة .. كومة

وأنسام تضم عباءتى بأنامل الرحمة

ومن ضمه

إلى ضمه

تنسمنا قلاع الحب والحكمة

ولكنا على الأبواب

أطل نتوء

كأنف قد تورم فوق وجه العازف السكير)

عن العجلات مد لسانه الموبوء

تهأت فيه مركبتى

نعد بإصاحب الكلمات

كأسيخ الحديد توهجت في النار

تمر على عيونك أحرف الكلمات

« هوانا مات »

تهاوينا

بلغنا قمة القمة

لنهبط في انحدار الجانب الآخر

ومن عثره الى عثره

تلقانا تراب الأرض في راحاته البرّة

ودارت قهوة الموتى

رأيت يديك هذا اليوم

معطرتين ، ناعمتين

ولكننى رأيت على أظافرك الدم الملم

وفي المجرى الذى ينساب في النهدين

مددت يدك قبيل النوم

عمرت على حطام الخنجر المسموم
والقفاز !!

يا وجهها

يا وجهي .. ستهوا

يا وجهي ..

يا وجهي ..

..

يا وجهي .. شديدا

يا وجهي .. أحبك ؟

يا وجهي .. شدة الصبا .. لغوا

..

يا وجهي .. أهوى

يا وجهي .. دفة والجلوى

يا وجهي .. سمائك الشجوا

يا وجهي ..

..

يا وجهي ..

الصفيف فيك يعانق الصحوا
عينك ترغمان في أرجوحة
والثغر مرتعش بلا مأوى
وعذابه : سلوى
إن جئت أنفض عنده الشكوى

• • •

في الليل افتقدك
فتضيء لي قسمايك النشوى
تأقئ خجول البوح مزهوا
وعلى ذراع الشوق استندك
وأحس في وجهي لظى الأنفاس
حين يلفني رغدك !
وأنام !
تحملي رؤاك لنجمة قصوى
تترفق الخطوا
تحكى ، فأرشف همسك الرخوا
ويهزني صحوى .. فافتقدك
لكن بلا جدوى
بلا جدوى !

— حوى
— حوى
— حوى
— حوى
— حوى
• • •

— حوى
— حوى
— حوى

مقتل القمر !

.. وتناقلوا النبأ الأليم على بريد الشمس
في كل المدينة :

« قتل القمر » !

شهوده مصلوباً تدلى رأسه فوق الشجر !
نهب للصوص قلادة الماس الثمينة
من صدره !

تركوه في الأعواد ،

كالأسطورة السوداء في عيني ضريح
ويقول جاري :

— « كان قديساً ، لماذا يقتلونه ؟ »

وتقول جارتنا الصبية :

— « كان يمجبه غنائى في المساء

وكان يهذي قوارير العطور

فبأى ذنب يقتلونه ؟

هل شاهدوه عند نافذتى — قبيل الفجر — يصفى للفناء

من أكل العيون
أطفال القمر

مات .. مات !

من ألقى التي غدرت به

سبح في

• • •

حنت

حنت حنينة على عينيه ..

من رأى من فارقه !

المدينة

قريتنا أبوكم مات

قتله أبناء المدينة

عليه دموع إخوة يوسف

تركوه فوق شوارع الأسفلت والدم والضغينة
يا اخوتي : هذا أبوكم مات !
— ماذا ؟ لا .. أبونا لا يموت
بالأمس طول الليل كان هنا
يقص لنا حكايته الحزينة !
— يا اخوتي بيدي هاتين احتضنته
أسبلت جفنيه على عينيه حتى تدفنه !
قالوا : كفك ، اصمت
فانك لست تدري ما تقول
قلت : الحقيقة ما أقول
قالوا : انتظر
لم تبق إلا بضع ساعات ..
ويأتي !

• • •

حط المساء
وأطل من فوق القمر
متألق البسمات ، ماسى النظر
— يا اخوتي هذا أبوكم ما يزال هنا
فمن هو ذلك الملقى على أرض المدينة ؟

قالوا : غريب

ظنه الناس القمر
قتلوه ، ثم بكوا عليه
ورددوا « قتل القمر »
لكن أبونا لا يموت
أبدأ أبونا لا يموت !

شيء يحترق

شيء في قلبي يحترق
إذ يمضي الوقت .. فنفترق
ونمد الأبدى
بجمعها حب
وتفرقها .. طرُق
.. .
.. ولأنت جوارى ضاحجة
وأنا بجوارك ، مرتفق
وحديثك يغزله مرح
والوجه .. حديث متسق
ترخين جفونا
أغرقها سحر
فطفًا فيها الفرق
وشبابك حان جبلي
أرز ، وغدير ينشق

وبيد دهبى وحدى
مصطوح منه ومغتنق
وتغوص بقسى شموته
تدفعني فيب .. فتلتصق
وأمد يدين معربدتين
فتوبك في كفى ..
مزق
وذراعك يلتف
ونهر من أفصى الغابة يندفق
وأضحك
شفة في شفة
فيغيب الكون ، وينطبق
.....
وتموت النار
فترقبها
بجفون حار بها الأرق
خجلى !
وشفاهلك ذائبة
وشمارك نشوى تندلق

ونعود نثرثر
كبحيرات هادئة
غطاها الورق

وعمر الوقت فلا ندرى
ويقيم محافله الشفق
وتدق الساعة معلنة
فيهب بنا صحو قلق
ويحين وداع
وقتي

وأراه كحللم ينسحق
يرتد الصمت لموضعه
ويعود إلى الأذن الحلق
ولمجد الأيدي
راغمة

نشباكى العتب
وتنزلق !

وأحس بشيء في صدرى
شيء .. كالفرحة
يحترق !

قالت

قالت : تعال إليّ
واصعد ذلك الدرج الصغير
قلت : القيود تشدنى
والخطو مضنى لا يسير
مهما بلغت فلست أبلغ ما بلغت
وقد أخور
درج صغير
غير أن طريقه .. بلا مصير
فدعى مكالى للأسى
وامضى الى غدك الأمير
فالعمر أقصر من طموحى
والأسى قتل الغدا

• • •

قالت : سأنزل
قلت : يا معبودى لا تنزلى لى

قالت : سأُنزل
قلت : خطوطك منه في المستحيل
ما نحن ملتقيان
رغم توحد الأمل النبيل
... ..

نزلت تدق على السكون
رنين ناقوس ثقيل
وعيوننا متشابهكات في أمي الماضي الطويل
تخطو إلى
وخطوها ما ضلّ يوماً عن سبيل
وبكى العناق
ولم أجد إلا الصدى
إلا الصدى

ماريّا ؛ يا ساقية المشرب
الليلة عيد
لكننا نخفي جمرات التنهيد !
صلى النشوة نخباً .. نخباً
صلى حبا

قد جئنا الليلة من أجلك
لربح العمر المتشرد خلف شعاع الغيب المهلك
في ظل الأهداب الإغريقية !
ما أحلى استرخاءة حزن في ظلك
في ظل الهدب الأسود

.....

— ماذا يا ماريّا ؟
— الناس هنا كالناس هنالك في اليونان
بسطاء العيشة ، محبوبون
— لا يا ماريّا

إناس هنا — في المدن الكبرى — ساعات

! تتخلف

! تتوقف

! تتصرف

آلات ، آلات ، آلات

كفى يا ماريًا

نحن نريد حديثاً نرشف منه النسيان !

.....

ماذا يا سيدة البهجة ؟

العام القادم في بيتي زوجة ؟!

قد ضاعت يا ماريًا من كنت أود

ماتت في حضن آخر

لكن ما فائدة الذكرى

ما جدوى الحزن المقعد

نحن جميعاً نحجب ضوء الشمس ونهرب

كفى يا ماريًا

نحن نريد حديثاً نرشف منه النسيان

.....

قولى يا ماريًا

أوما كنت زماناً طفلة

يلقى الشعر على جبهتها ظله

من أول رجل دخل الحـمـه واستلقى فوق الشيطان

علقت في جبهته من ليلك خصلة

فضُّ الثغر بأول قبلة

أوما غنيت لأول حب

غنينا يا ماريًا

أغنية من سنوات الحب العذب

.....

.....

.....

ما أحلى النغمة

لتكاد تترجم معناها كلمة .. كلمة

غنينا ثانية .. غنى

(أوف .

لا تتجهم

ما دمت جوارى ، فلتتبسم

بين يديك وجودى كنز الحب

عيناي الليل .. ووجهى النور

شفتاي نبذ معصور
صدرى جنتك الموعودة
وذراعى وساد الرب
فتبسم للحب ، تبسم
لا تتجهم
لا تتجهم)

.....
ما دمت جوارك يا ماريًا لن أتجهم
حتى لو كنت الآن شاباً كان
فأنا مثلك كنت صغيراً
أرفع عيني نحو الشمس كثيراً
لكنى منذ هجرت بلادى
والأشواق
تمضغنى ، وعرفت الأطراق
مثلك منذ هجرت بلادك
وأنا أشتاق
أن أرجع يوماً ما للشمس
أن يورق فى جدنى فيضان الأمس
.....

قولى يا ماريًا
العام القادم يصير كل منا أهله
كى أرجع طفلاً .. وتعودى طفلة
لكننا الليلة محرومون
صبي أشجانك نجاً .. نجياً
صبي حبا
فأنا ورفاقى
قد جئنا الليلة من أجلك !

استريحي

استريحي

ليس للدور بقية

انتهت كل فصول المسرحية

فامسحي زيف المساحيق

ولا ترتدي تلك المسوح المريمية

واكشفي البسمة عما تحتها

من حنين .. واشتهاء .. وخطيه

كنت يوماً فتنة قدستها

كنت يوماً

ظماً للقلب .. وريه

• • •

لم تكوني أبداً لي

إنما كنت للحب الذي من سنتين

قطف التفاحتين الحلوتين

ثم ألقى

ببقايا القشرتين

وبكى قلبك حزناً

فقدنا دمة حمراء

بين الرثتين

وأنا ؛ قلبي منديل هوى

جففت عيناك فيه دمعتين

ومحت فيه طلاء الشفتين

ولوته ..

في ارتعاشات اليدين

كان ماضيك جداراً فاصلاً بيننا

كان ضلالاً شبحية

فاستريحي

ليس للدور بقية

أيها نحن جلسنا

ارتسمت صورة الآخر في الركن القصي

كنت تخشين من اللمسة

أن تمحى لمسته في راحتي

وأحاديثك في الهمس معي

إنما كانت إليه ..

لا إلى

فاستريحى الآن

لم يبق سوى حيرة السير على المفترق

كيف أقصيك عن النار

ولى صدرك الرغبة أن تحترق ؟

كيف أدنيك من النهر

ولى قلبك الخوف وذكرى الغرق ؟

أنا أحبيتك حقاً

إنما لست أدري

أنا .. أم أنت الضحية ؟

فاستريحى ، ليس للدور بقية

العار الذى نتقيه

هذا الذى يجادلون فيه

قولى لهم من أمه ، ومن أبوه

أنا وأنت ..

حين أنجبناه ألقيناه فوق قمم الجبال كى يموت !

لكنه ما مات

عاد إلينا عنفوان ذكريات

لم نجترى أن نرفع العيون نحوه

لم نجترى أن نرفع العيون

نحو عارنا المعبت

• • •

ها طفلنا أمامنا غريب

ترشقه العيون والظنون بازدرائها

ونحن لا نجيب

(وربما لو لم يكن من دمنا

كنا مددنا نحوه البدا

لكنه .. ما زال يقطع الدروب

يقطع الدروب

ولى عيوننا الأسى المريب

• • •

« أوديب » عاد باحثاً عن اللذين ألقياه للردى

نحن اللذان ألقياه للردى

وهذه المرة لن نضيعه

ولن نتركه يتوه

ناديه

قولى انك أمه التى ضنت عليه بالدفع

وبالبسمة والحليب

قولى له أنى أبوه

(هل يقتلنى ؟) أنا أبوه

ما عاد عاراً نتقيه

العار : أن نموت دون ضمة

من طفلنا الحبيب

من طفلنا « أوديب »

رسالة من الشمال

بعمى — من الشوك — مخشوشن

بعرق من الصيف لم يسكن

بتجويف حب ، به كاهن

له زمن .. صامت الأرغن :

أعيش هنا

لا هُنا ، إننى

جهلْتُ بكتنوتى مسكنى

غدى : عالم ضل عنى الطريق

مسالكه للسدى تنحنى

علاماته .. كاثيال الضوء

على دنس متنى .. متنى

تفح السواسن سم العطور

فأكفر بالعطر والسوسن

وأفصد وهمى .. لأمتصه

فيمتصنى الوهم ، يمتصنى ..

• •

ملاكى : أنا فى شمال الشمال
أعيش .. ككأسى بلا مدمن
ترد الذهب انتظاراً ، وتحسو
جمود مواعدها الخوّن
غريب الخطايا ، بقايا الحكايا
من الليل لليل تستلنى
أرشف ابتسامتى على كل وجه
توسد فى دهنه اللين
ويجرحنى الضوء فى كل ليل
مرير الخطي ، صامت ، محزن
سريت به — كالشعاع الضئيل —
الى حيث لا عابر ينثنى
هى اسكندرية بعد المساء
شتائية القلب والمحضن
شوارعها خاويات المدى
سوى : حارسى لى لا يعتنى
ودورة كليين كى ينسلا
ورائحة الشبق المزمّن
ملاكى .. ملاكى .. تساءل عنك

اغتراب التفرد فى مسكنى
سفحت لك اللحن عبر المدى
طريقاً إلى المبتدأ ردى
وعيناك : فيروزتان تضيقان
فى خاتم الله .. كالأعين
تمدان لى فى المغيب الجناح
مدى ، خلف خلف المدى الممعن
سألتهما فى صلاة الغروب
عن الحب ، والموت ، والممكن
ولم تذكرنا لى سوى خلعة
من الهدب قلت لها : هيمنى !
هواى له الشمس تنبذة
إلى اليوم بالموت لم تؤمن
وكانت لنا خلوة ، إن غدا
لها الخوف أصبح فى مأمن
مقاعد ما تزال النجوم
تخرج إلى صمتها المؤمن
حكينا لها ، وقرأنا بها
بصوت على الغيب مستأذن

دنوا ، دنوا ففى جعبتى
حكايات حب سنى ، سنى
صقلت به الشمس حتى غدت
مرايا مساء لتزيتى
وصفت لك النجم عقداً من
الماس شع على صدرك المفتى
أردتك قبل وجود الوجود
وجوداً لتخليده لم أن
تغربت عنك ، لحيث الحياة
مناجم حلم بلا معدن
ودورة كلبين كى يتسلا
ورائحة الشبق المزمّن

ملاكى : ترى ما يزال الجنوب
مشارك للصيف لم تعلن
ضممت لصدري تصاويرنا
تصاوير تبكى على المفتى
سأقّى إليك أجر المسير
خطى فى تصلبها المذعن

سأقّى إليك كسيف تحطم
فى كف فارسه المشخن
سأقّى إليك نحيلاً .. نحيلاً
كخيط من الحزن لم يحزن
. . .
أنا قادم من شمال الشمال
لعينين — فى موطنى — موطنى !

أوتوجراف

لن أكتب حرفاً فيه

فالكلمة — إن تكتب — لا تكتب

من أجل الترفيه

(والأوتوجراف الصامت تهذل الكلمات عليه ،
تحييه

وتطرز كل مثاليه !

ماضيك

— وماضي الأوتوجراف —

بقايا شوق مشبوه

بصمات الذكرى فيك ، وفيه

وخطى العشاق المحمومة أدمت كل دواليه

لكني أطرّد كل ذباب الماضي عن باي
فدعيه

غيري قد يصبح سطرّاً من ورق

يقبله من يجهله أو من يدريه

غيري قد ينبش تابوتاً براق اللون

تعفن خافيه

لكني أطرّد كل ذباب الذكرى

عن غدى المشدوه

عن ثوى ، وطعاسى ، وفراشى

عن خطوة تبي

.....

يا أصغر من كلماتي

لن أكتب فيه

فخطى العشاق المحمومة أدمت كل دواليه !

انتظري !.

ما اسمك ؟

يا ذات العيون الخضراء والشعر الغري
أشبهت في تصوري .

(بوجهك المدور)

حبيبة أذكرها .. أكثر من تذكرى

يا صورة لها على المرأة ، لم تنكسر

حبيبتي — مثلك —

لم تشبه جميع البشر

عيونها حدائق حافلة بالصور

أبصرتها اليوم بعينيك

اللتين صبتا في عُمري ..

طفولة .. منذ اتران الخطو لم تنحسر

• • •

يا ظل صيف أخضر

تصوري

كم أشهر وأشهر

مرت ولسنا نلتقى

مرت .. ولم غُضوضر

الماس في مناجمى

مشوه التبلور

والذكريات في دمي

عاصفة التحرر

كرقصة نارية من فتيات الغجر

• • • • •

لكننى حين رأيت الآن صورة لها

في مهجرى

أيقنت أن ماسنا ما زال

حتى الجواهر

وأنا سنلتقى ..

رغم رياح القدر

وأنتى في فمك المستضحك المستبشر

أغنية للقمر

أغنية ترقص فيها القرويات

• • •

يا ظل صيف أخضر

تصورى

كم أشهر وأشهر

مغترباً عن العيون الخضر والشعر الذى

العينان الخضراوان

العينان الخضراوان

مروحتان

في أروقة الصيف الحران

أغنيتان مسافيتان

أبعرتا من نايات الرعيان

بعبير حنان

بعزاء من آهة النور إلى مدن الأحزان

سنتان

وأنا أهني زورق حب

يمتد عليه من الشوق شراعان

كى أبحر في العينين الصافيتين

إلى جزر المرجان

ما أحلى أن يضطرب الموج فينسدل الجفنان

وأنا أبحث عن مجداف

عن إيمان !

• • •

Petit Terianor

(الملهى الصغير)

لم يعد يذكرنا حتى المكان !
كيف هنا عنده ؟
والأمس هان ؟
قد دخلنا ..
لم تُشر مائدةً نحونا !
لم يستصفنا المقعدان !!
الجليسان غريبان
فما بيننا إلا . ظلال الشمعدان !
أنظري ؛
قهوتنا باردة
ويدانا — حولها — ترتعشان
وجهك الغارق في أصباغه
وجهى الغارق في سحب الدخان
رُميمًا

في صمت « الكاتدرائيات » الوسمان
صور « للعذراء » المسبلة الأجفان
يا من أرضعت الحب صلاة الغفران
وتقطى في عينيك المسبلتين
شباب الحرمان
رُدَى جفنيك
لأبصر في عينيك الألوان
أهما خضراوان
كعيون حبيبي ؟
كعيون يحمر فيها البحر بلا شطآن
يسأل عن حب
عن ذكرى
عن نسيان !
قلبي حران ، حران
والعينان الخضراوان
مروحتان !

(ما ابتسما !)
في لوحة خانت الرسام فيها ..
لمستان !!
تُسدّل الأستار في المسرح
فلنضيء الأنوار
إن الوقت حان
أمن الحكمة أن نبقي ؟
سدى !!

قد خسرنا فرسينا في الرهان !
قد خسرنا فرسينا في الرهان
مالنا شوط مع الأحلام
ثان !!
نحن كنا ها هنا يوماً
وكان

وهج النور علينا مهرجان
يوم أن كنا صغاراً
نمتطى صهوة الموج
إلى شط الأمان
كنتُ طفلاً لا يعنى معنى الهوى

وأحاسيسك مرخاة العنان
قطعة مغمضة العينين
في دمك اليكر لهيب الفوران
عامنا السادس عشر :
رغبة في الشرايين
وأعواد لدان
ها هنا كل صباح نلتقى
بيننا مائدة
تندى .. حنان
قدمانا تحتها تعنتقان
ويدانا فوقها تشبكان
إن تكلمت :
ترئمت بما همسته الشفتان الحلوان
وإذا ما قلتُ :
أصغت طلعة حلوة
وابتسمت غمازتان !
أكتب الشعر لنجواك
(وإن كان شعراً يغيثي البيان)
كان جمهوري عيناك !

إذا قلته : صفقتا تبسيمان

ولكن ينصحنا الأهل

فلا نصحبهم عزّ

ولا الموعد هان

لم نكن نخشى إذا ما نلتقى

غير ألا نلتقى في كل آن

ليس ينهائى تأنيب أئى

ليس تنهاك عصا من خيزران !!

الجنون البكر ولئى

وانتهت سنة من عمرنا

أو .. سنتان

وكما يهدأ عنف النهر

إن قارب البحر

وقاراً .. واتزان

هدأ العاصف فى أعماقنا

حين أفرغنا من الخمر الدنان

قد بلغنا قمة القمة

هل بعدها إلا .. هبوط العنفوان

اخرقنا ..

(دون أن تغضب)

لا يغضب الحكمة صوت المذبان

ما الذى جاء بنا الآن ؟

سوى لحظة الجبن من العمر الجبان

لحظة الطفل الذى فى دمنّا

لم يزل يحبو ..

ويكبو ..

فبعان !

لحظة فيها تنهيد الصبا

والصبا عهد إذا عاهد : خان

أمن الحكمة أن تبقى ؟

سدى

قد خسرنا فرسينا فى الرهان

• • •

قلنا يا أخت فى هذا المكان

كم تناجى ، وتناغى عاشقان

ذهبا

ثم ذهبنا

وغداً ..

يتساقى الحب فيه آخران !
فلندعه لهما
ساقية ..
دار فيها الماء .
مادار الزمان !!

البركان بين يدي زرقاء العجاسة

آه .. ما أقسى الجدار
عندما ينهض في وجه الشروق .
ربما ننفق كل العمر .. لكي ننقب ثغره
ليمر النور للأجيال .. مره !

... ...

ربما لو لم يكن هذا الجدار ..
ما عرفنا قيمة الضوء الطليق !!

إلى « مازن جودت أبو غزالة »
عرفته في سنوات السأول .
رحل مع « العاصفة » .

للوهلة الأولى

قرأت في عينيه يومه الذى يموت فيه .
رأيت في صحراء « النقب » مقتولا ..
منكفئاً .. يغرز فيها شفتيه ،

وهى لا تردُّ قِبلَةً .. لفيه !

نتوه في القاهرة العجوز ، نسي الزمنا
نفلت من ضجيج سياراتها ، وأغنيات المتسولين
تُظَلِّنا محطة المترو مع المساء .. متعيين .
وكان يبكى وطننا .. وكنت أبكى وطننا
نبكى إلى أن تنضب الأشعار
نسألها : أين خطوط النار ؟
وهل تُرى الرصاصة الأولى هناك .. أم هنا ؟
• • •

والآن .. ها أنا

أظل طول الليل لا ينوق جفنى وسنا
أنظر في ساعتى الملقاة في جوارى
حتى تحيىء . عابراً من نقط التفثيش والحصار
تسع الدائرة الحمراء في قميصك الأبيض ، تبكى شج
من بعد أن تكسرت في « النقب » رابتك !
تسألنى : « أين رصاصتك ؟ »
« أين رصاصتك »
ثم تغيب : طائراً .. جريحاً
تضرب أفقك الفسيح
تسقط في ظلال الضفة الأخرى ، وترجو كفنا !
وحين يأتى الصبح — فى المذيع — بالبشائر
أزيع عن نافذتى الستائر ،
فلا أراك .. !
أسقط فى عارى . بلا حراك
اسأل إن كانت هنا الرصاصة الأولى ؟
أم أنها هناك ؟ ؟

كلمات مبارتكوس الأخيرة

(مزج أول) :

المجد للشيطان .. معبود الرياح
من قال « لا » في وجه من قالوا « نَعَمْ »
من عَلَّمَ الإنسانَ تَمْزِيقَ العدم
من قال « لا » .. فلم يَمُتْ ،
وظل رُوحاً أبديّة الألم !

(مزج ثان) :

مُعَلِّقٌ أنا على مشائق الصباح
وجيبتى — بالموت — محبّة
لأننى لم أُنْجِها .. حَيَّة !

...

يا اخواتى الذين يعبرون فى الميدان مطرقيّن
منحدرين فى نهاية المساء

فى شارع الاسكندر الأكبر :

لا تحجلوا .. ولترفعوا عيونكم إلىّ

لأنكم مملقون جانبي .. على مشائق القيصّر .

فلترفعوا عيونكم إلىّ

لربما .. إذا التقت عيونكم بالموت فى عَيْنَيّ :

يتسم الفناء داخلى .. لأنكم رفعتم رأسكم .. مرّة !

« سيزيف » لم تعد على أكتافه الصخرة

يحملها الذين يولدون فى مخادع الرقيق .

والبحر .. كالصحراء .. لا يروى العطش

لأن من يقول « لا » لا يرتوى إلّا من الدموع !

.. فلترفعوا عيونكم للثائر المشنوق

فسوف تنتهون مثله .. غدا .

وقبّلوا زوجاتكم .. هنا .. على قارعة الطريق

فسوف تنتهون ها هنا .. غدا .

فالانحناء مرّ ..

والعنكبوت فوق أعناق الرجال ينسج الردى

فقبّلوا زوجاتكم .. إلى تركت زوجتى بلا وداع

وإن رأيتم طفلي الذي تركته على ذراعها بلا ذراع
فعلّموه الانحناء !
علموه الانحناء !

الله . لم يغفر خطيئة الشيطان حين قال لا !
والودعاء الطيّبون ..

هم الذين يَثْرُونَ الأرضَ في نهاية المدى
لأنهم .. لا يشنقون !

فعلّموه الانحناء.

وليس ثم من مَقَر .

لا تعلّموا بعالم سعيد

فحلف كل قيصر يموت : قيصراً جديداً !

وحلف كل ناثر يموت : أحزاناً بلا جدوى ..

ودمعة مدي !

(زح ثالث) :

يا قيصر العظيم : قد أخطأت .. إلى أعترف

دعني — على مشنقتي — ألتئم يدك

ها أنذا أقبل الحبل الذي في عنقي يلتف

فهو يداك ، وهو مجدك الذي يجبرنا أن نعبدك
دعني أكفر عن خطيئتي

أمنحك — بعد ميتتي — جمجمتي

تصوغ منها لك كأساً لشرابك القوي

.. فان فعلت ما أريد :

إن يسألك مرة عن دمي الشهيد

وهل تُرى منحتني « الوجود » كي تسلبني « الوجود »

فقل لهم : قد مات .. غير حاقِد عليّ

وهذه الكأس — التي كانت عظامها جمجمة —

وثيقة الغفران لي .

ياقاتل : إني صفحت عنك ..

في اللحظة التي استرحت بعدها مني :

استرحت منك !

لكنني .. أوصيك إن تشأ شق الجميع

أن ترحم الشجر !

لا تقطع الجذوع كي تنصبها مشانقا

لا تقطع الجذوع

فرمما يأتي الربيع

« والعالمُ عامٌ جوع »

فلن تشم في الفروع .. نكهة الثمر !

وربما يمرُّ في بلادنا الصيفُ الخطيرُ

فتقطع الصحراء . باحثاً عن الظلال

فلا ترى سوى الهجير والرمال والهجير والرمال

والظمأُ النَّارِيَّ في الضلوع !

ياسيد الشواهد البيضاء في الدجى ..

ياقيصر الصقيع !

(مزج رابع) :

يا اخوتي الذين يعبرون في الميدان في انحناء

منحدرين في نهاية المساء

لا تحملوا بعالم سعيد ..

فخلف كل قيصر يموت : قيصر جديد .

وإن رأيتم في الطريق « هانيبال »

فأخبروه أنني انتظرته . مدى على أبواب « روما » المجهدة

وانتظرت شيوخ روما — تحت قوس النصر — قاهر الأبطال

ونسوة الرومان بين الزينة المعريدة

ظللن ينتظرن مقدم الجنود ..

ذوى الرؤوس الأطلسية المجددة

لكن « هانيبال » ما جاءت جنوده المجددة

فأخبروه أنني انتظرته .. انتظرته ..

كنه لم يأت !

وأننى انتظرته .. حتى انتهت في حبال الموت

وفي المدى : « قرطاجة » بالنار تحترق

« قرطاجة » كانت ضمير الشمس : قد تعلّمت معنى الركوع

والعنكبوت فوق أعناق الرجال

والكلمات تحتنق

يا اخوتي : قرطاجة العذراء تحترق

فقبلوا زوجاتكم ،

إني تركت زوجتي بلا وداع

وإن رأيتم طفلي الذي تركته على ذراعها .. بلا ذراع

فعلّموه الانحناء ..

علّموه الانحناء ..

علّموه الانحناء ..

(أبريل ١٩٦٢)

الأرض .. والجرح الذى لا يفتح

الأرض ما زالت ، بأذنها دمّ من قرطها المنزوع ،
قهقهة اللصوص تسوق هودجها .. وتركها بلا زائد ،
تشدّ أصابع العطش المميت على الرمال ،
تضيق صرختها بمحممة الخيول .
الأرض ملقاة على الصحراء .. ظامئة ،
وتلقى الدلو مرات .. وتخرجه بلا ماء !
وتزحف في هيب القبط ..
تسأل عن عنوبة نهرها ..
والنهر سمّ المغول
وعيونها تخبو من الاعياء ، تستسقى جنود الشوك ،
تنتظر المصير المر .. يطحنها الذبول
• • •

من أنت يا حارس ؟

إني أنا الحجاج ..

عصّيتي بالتاج ..

تشرّبنيها القارس !

الأرض تُطوى في بساط « النفط » ،

تحملها السفائن نحو « قيصر » كي تكون إذا انتفتحت
اللفائف :

رقصة .. وهدية للنار في أرض الخطاة .

دينارها القصدير مصهور على وجنتها .

زئارها المحلول يسأل عن زناة الترك ،

والسيّاف يجلدّها ! وماذا ؟ بعد أن فقدت بكارتها ..

وصارت حاملاً في عامها الألفى من ألفين من عشاقها !

لا النيل يغسل عارها القاسى .. ولا ماء الفرات !

حتى لزوجة نهرها الدموى ،

والأموى يقمى في طريق التبع :

« .. دون الماء رأسك يا حسين .. »

وبعدها يتملكون ، يضاجعون أرامل الشهداء ،

ولا يتورعون ، يؤذنون الفجر .. لم يتطهروا من رجسهم ،
فالخلق مات !

• • •

هل ثبتّ الثقي

قناعه المهزوز ؟

فقد مضى تموز ..

بوجهه العربى !

• • •

أحببت فيك المجد والشعراء ..

لكنّ الذى سرواله من عنكبوت الوهم :

يمشى في مدائنك المليئة بالذباب

يسقى القلوب عصارة الخدر المنمق ،

والطواويس التى نزعت تقاويم الخوايط ،

أوقفت ساعاتها ،

وتجشأت بموائد السفراء ..

تنتظر النياشين التى يسخو بها السلطان ..

فوق أكابر الأغواث منهم !

باسماء :

أكل عام : نجمة عربية تهوى ..

وتدخل نجمة برج البرامك ! ؟

ما تزال مواعظُ الخصيان باسم الجالسين على الحراب ؟

وأراك .. و ابن حلول ، بين المؤمنين بوجهه القزحي ..

يسرى بالوقعة فيك ،

والأنصار واجمة ..

وكل قريش واجمة ..

فمن يهديه للرأى الصواب ؟ !

ملئما يخطو ..

قد شوهته النار !

هل يصلح العطار

ما أفسد النفط ؟

• • •

لم يبق من شيء يقال .

يا أرض :

هل يلدُ الرجال ؟

(مايو ١٩٦٦)

البكاء بين يدي زرقاء اليمامة

أيتها العرافة المقدسة ..

جئت إليك .. متخناً بالطعنات والدماء

أزحف في معاطف القتلى ، وفوق الجثث المكدسة

منكسر السيف ، مغبر الجبين والأعضاء .

أسأل يازرقاء ..

عن فمك الباقوت عن ، نبوءة العذراء

عن ساعدي المقطوع .. وهو ما يزال ممسكاً بالراية المنكسة

عن صور الأطفال في الخوذات .. ملقاة على الصحراء

عن جارئ الذي يهيم بارتشاف الماء ..

فيثقب الرصاص رأسه .. في لحظة الملامسة !

عن الفم المحشو بالرمال والدماء !!

أسأل يازرقاء ..

عن وقفتي العزلاء بين السيف .. والجدار !

عن صرخة المرأة بين السبي . والفرا ؟

كيف حملت العار ..

ثم منبت ؟ دون أن أقتل نفسي ؟ ! دون أن أنهار ؟ !

ودون أن يسقط لحمي .. من غبار التربة المدنسة ؟ !

تكلمى أيتها النبية المقدسة

تكلمى .. بالله .. باللعنة .. بالشيطان

لا تمنضى عينيك ، فالجرذان ..

تلعق من دمي حساءها .. ولا أردّها !

تكلمى ... لشدّ ما أنا مُهان

لا الليل يُخفى عورتي .. ولا الجدران !

ولا اختبائي في الصحيفة التي أشدّها ..

ولا احتبائي في سحائب الدخان !

.. تغفر حولي طفلة واسعة العينين .. عذبة المشاكسة

(— كان يُقصُّ عنك يا صغيرتي .. ونحن في الخنادق

فنفتح الأزرار في ستراتنا .. ونسند البنادق

وحين مات عطشاً في الصحراء المشمسة ..

رطب باسمك الشفاه اليابسة ..

وارتخت العينان !)

فأين أخفى وجهي المُتهم المدان ؟

والضحكة الطروب : ضحكته ..

والوجه .. والغمازتان ! ؟

• • •

أيتها النبية المقدسة ..

لا تسكتي .. فقد سكّت سنة فسنة ..

لكي أنال فضلة الأمان

قيل لى « اخرس » ..

فخرست .. وعميت .. واكتممت بالخصيان !

ظللّت في عبيد (عيسى) أحرس القطعان

أحتز صوفها ..

أردّ نوقها ..

أنام في حظائر النسيان

طعامي : الكسرة .. والماء .. وبعض التمرات اليابسة ..

وها أنا في ساعة الطعان

ساعة أن تخاذل الكمأة .. والرمأة .. والفرسان

دُعيت للميدان !

أنا الذى ما ذقتُ لحمَ الضأن ..

أنا الذى لا حولَ لى أو شأن ..

أنا الذى أقصيت عن مجالس الفتيان ،

أدعى الى الموت .. ولم أدع الى المجالسة !!

تكلمى أيتها النبية المقدسة

تكلمى .. تكلمى ..

فها أنا على التراب سائل دمي

وهو ظمىء .. يقلب المزيدا .

أسائل الصمت الذى يخنقنى :

« ما للجمال مشيها وثيدا .. ١٩ »

« أجندلاً يحملن أم حديدا .. ١٩ »

فمن ترى يصدّقنى ؟

أسائل الرُكع والسجودا

أسائل القيودا :

« ما للجمال مشيها وثيدا .. ١٩ »

« ما للجمال مشيها وثيدا .. ١٩ »

• • •

أيتها العرافة المقدسة ..

ماذا تفيد الكلمات البائسة ؟

قلبٍ لهم ما قلبٍ عن قوافل الغبار ..

فاتهموا عينيك ، يازرقاء ، بالبوار !

قلبٍ لهم ما قلبٍ عن مسيرة الأشجار ..

فاستضحكوا من وهلك الثرثار !

وحين فوجئوا بحدّ السيف : قابضوا بنا ..

واتمسوا النجاة والفرار !

ونحن جرحى القلب ،

جرحى الروح والفم .

لم يبق إلا الموت ..

والخطأ ..

والدمار ..

رصيبةٌ مشردون يعبرون آخرَ الأنهار

نسوةٌ يسقن فى سلاسل الأسر ،

وفى ثياب العاز

مقاطعات الرأس .. لا يملكن إلا الصرخات الناعسة !

.....

ها أنت يازرقاء

وحيدة ... عمياء !

وماتزال اغنيات الحب .. والأضواء

والعرباث الفارهاث .. والأزماء !

فأين أخفى وجهي المَشْهُوا

كفى لا أعكر الصفاء .. الأبلّة .. الموهّا .

في أعين الرجال والنساء ؟!

وأنت يازرقاء ..

وحيدة .. عمياء !

وحيدة .. عمياء !

(١٣ - ٦ - ٦٧)

أيلول

(صوت)

(١)

(جوقة خلفية)

سِلِّ الباكى في هذا العام

جمع عنه في السجن قلنسوة الاعدام

سقط من سترته الزرقاء .. الأرقام !

سنى في الأسواق : يبشر بنيوته الدموية

سنة أن وقف على درجات القصر الحجرية

بنول لنا : ان سليمان الجالس منكفئا

بش عصاه

تد مات ! ولكننا نحسبه يغفو حين نراه !!

واه .

قال .. فكمنناه ، فقأنا عينيه الناهلتين

وسرقنا من قدميه الخفين الذهبيين

وحشرناه في أروقة الأشباح المزدهمة

ها نحن يا أيلول

لم ندرك الطعنة

فحلت اللعنة

في جيلنا المخبول !

... ..

قد حلت اللعنة

في جيلنا المخبول

فنحن يا أيلول

لم ندرك الطعنة !

... ..

(صوت) :

ونسيتا يا ايلول الكلمة .

في سورية

كانت تنهاوى رايات أمية

فرفعناها علماً علماً .. ووقعنا في أسر الروم

لكننا في طابور الأسرى المهزوم

كنا ننتظر زياد بن أبيه

نعود ، فينقذنا مما تنسر بل فيه .

كنا نبصر وردتنا الصابحة الحمراء

تنمو في شرقية بيت في حلب الشهباء

وظللنا ننتظر .. تطول الأظفار .. ويبيض

السالف

.. ذات صباح عاصف

كنا نشرب حين أتتنا الأنباء

.. فتعكر لون الماء !

(جوقة خلفية) :

فحلت اللعنة !

..

الأمراء الصم

ماتوا على المداخل

لم يبق إلا « الداخل »

يعبر نهر الدم !

... ..

لم يبق إلا « الداخل »

يعبر نهر الدم !

والأمراء الصم

ماتوا على المداخل

... ..

ماتوا على المداخل

لم يبق إلا « الداخل »

... (٣)

لو زرت دمشق

لوقفت على أبواب « المزه » ولتابع

الطرق

ودلفت الى غرفات التعذيب ..

(صوت) :

ورأيتك تضحك يا أيلول وأنا على

الأخشاب تدق .

فلقد أبصرتك في آخر ليلة

مصلوباً تتأرجع في باب زويلة !

ولمست أصابع قدميك هنيهات ما بين

الدهشة والتكذيب

وحشوت جراحك بتاب الأرض : ٥٠

ولفقتك في الرايات المنكودة

وحملتك حتى وارتبك في مقبرة

الصمت .. وراء الشرق .

لكنى أسمع صوتك في الليل ؛ تغنى

يا أيلول

في ضجة المذياع

يخف صوت الحق !

فمن يقول الصدق .

(جوقة خلفية) :

كى نرهف الأسماع ؟

... ..

من ذا يقول الصدق

كى نرهف الأسماع ؟

فضجة المذياع

تخفت صوت الحق !

... ..

يخفت صوت الحق

(١)

عرفت هذه المدينة الدمشقية ..

مقهى فمقهى .. شارعاً فشارعاً

رأيت فيها (اليشمك) الأسود والبراقعا

وزرت أوكار البغاء واللصوصية !

على مقاعد المخططة الحديدية ..

ثمت على حقائبى فى الليلة الأولى

(حين وجدت الفندق الملبى مأهولاً ؟)

وانقشع الضباب فى الفجر .. فكشفت البيوت والمصانع

والسفن التى تسير فى القناة ؛ كالأورق ..

والصائدين العائدين فى الزوارق البخارية !

• • •

(رأيت عمال « السماد » يهبطون من قطار « المحجر » العتيق

يعتصمون بالمناذيل الترابية

يدندنون بالمواعيل الحزينة الجنوبية

تجعل من تجويفات عظام الموتى : قصبات
الأرغول

فيجىء غناؤك . ممزوجاً بنحيب !

(الجوقة) :

هذا العام ..

أعطينا جرحانا آخر ما يملكه الصيف من

الأنسام

وبقينا فى المهد المختنق المبحوح .

لكننا من كل ضريح

نتنظر الريح !

... ..

فمن يقول الصدق ؟

... ..

(صوت) :

نتنظر الريح

من كل ضريح

... ..

من كل ضريح

نتنظر الريح

... ..

(سبتمبر ١٩٦٧)

ويصبح الشلوع .. درياً .. فزقاً .. فمضيئ
فيدخلون في كهوف الشجن العميق
وفي بحار الوهم : يصطادون أسماك سليمان الخرافية !

• • •

عرفت هذه المدينة ؟

سكوت في حاناتها

جُرحت في مشاحناتها

صاحبت موسيقارها العجوز في (تواشيح) الغناء

رهنت فيها خاتمي .. لقاء وجبة العشاء

وابتعت من « هيلانة » السجائر المهرية .

وفي « الكباشون » سبحت

واشتهيت أن أموت عند قوس البحر والسماء !

وسرت فوق الشعب الصخرية المدية

ألقط منها الصدف الأزرق والقواقع .

وفي سكوت الليل ؛ في طريق « بور توفيق »

بكيت حاجتي الى صديق

وفي أثر الشوق : كدت أن أصير .. ذبذبة !

(٢)

والآن ؛ وهي في ثياب الموت والقداء

تغصرها النيران .. وهي لا تلتين
تذكر مجلسي اللاهي .. على مقاهي « الأربعين »
بين رجالها الذين ..

يتنسمون خبزها الدامي . وصمتها الحزين

ويفتح الرصاص — في صدورهم — طريقنا إلى البقاء .

يسقط الأطفال في حاراتها

تقبض الأيدي على خيوط « طائراتها »

وتزغنى — هامة — في بركة الدماء .

وتأكل الحرائق ..

بيتها البيضاء والحدايق ..

ونحن ها هنا .. نعص في لجام الانتظار !

نصفي الى أنباتها .. ونحن نحشو قمنا ببيضة الافطار !

تسقط الأيدي عن الأطباق والملاعق

أسقط من طوابق القاهرة الشواهد

أبصر في الشارع أوجة المهاجرين

أعانت الحنين في عيونهم .. والتكريات

أعانت المحنة والنبات .

... ..

هل تأكل الحرائق

يومها البيضاء والحدائق
بينما تظل هذه « القاهرة » الكبيرة
آمنة .. قريه ؟!

تضيء فيها الواجهات في الحوانيت ، وترقص النساء ..
على عظام الشهداء ؟!

يوميات كهل صغير السن

- ١ -

أعرف أن العالم في قلبي .. مات !
كنى حين يكف المدياع .. وتنغلق الحجرات :
أنش قلبي ، أخرج هذا الجسد الشمعي
وسجيه فوق سرير الآلام .
فتح فمه ، أسقيه نبيذ الرغبة
سعل شعاعاً ينبض في الأطراف الباردة الصلبة
كن .. تنفتت بشرته في كفى
لا يتبقى منه .. سوى : جمجمة .. وعظام !

- ٢ -

تنزلقين من شعاع لشعاع
وأنت تمشين — تطالعين — في تشابك الأغصان في الحدائق
حالة .. بالصيف في غرفات شهر العسل القصير في الفنادق
ونزهة في النهر ..
واتكأة على شراع !

.. وفي المساء ، في ضجيج الرقص والتعانق

تنزلقين من ذراع لذرّاع !

تنتقلين في العيون ، في الدخان العصبي ، في سخونة الإيقاع

وفجأة .. ينسكب الشراب في تحطم الدوارق

يل ثوبك القراشي .. من الأكام حتى الخاصرة !

وحين يَفْغَرُ المغنى فمه مرتبكا

تنفجرين ضحكا !

تشعلين ضحكا !

وتخلعين الثوب في تصاعدات النغم الصارخ .. والمطارق

وتخلعين حُفْكَ المشبك

ثم ...

تواصلين رقصك المجنون .. ذوق الشَّقَلِيَّات المتناثرة !!

- ٣ -

عينا القطرة تنكمشان ..

فيدق الجرسُ الخامسة صباحا !

أتحسس ذقني النابتة .. الطافحة بثورا وجراحا

(.. اسمع خطو الجارة فوق السقف

ذفء الأغطية ، خربُرُ الصنبور

حشخشة المذيع ، عدوية جسدى المبهور

.. والخطو المتردد فوق ليس يكف .. !)

كفى في دقة بائعة الألبان :

تنوقف في فكي .. فرشاة الأسنان !

- ٤ -

في الشارع ..

تلاقى - في ضوء الصبح - بظلي الفارغ :

تصافح .. بالأقدام !

- ٥ -

حبيتي ، في الغرفة المجاورة

سمع وقع خطوها .. في روحه وجية

اسمع قهقهاتها الخافتة البريئة

اسمع تمناها المحاذرة

حتى حفيف ثوبها ؛ وهى تدور في مكانها .. بهم بالغاورة

(.. يومان ؛ وهى إن دخلت :

تشاغلّت بقطعة التطريز ..

بالنظر العابر من شباكها الى الافريز ..

بالصمت إن سَأَلْتُ !)

.. وعندما مررت على ! بقعة مضيئة ؛

أُتَيْت وراء ظهرها .. تحية اصرافها الفاترة

فاحتفت أذناي ، واحتبأت في أعمدة الوظائف الشاغرة

حتى تلاشي خطوها .. في آخر الدهليز !

- ٦ -

أطرق باب صديقي في منتصف الليل

(تنب القفزة من داخل صندوق الفضلات)

كل الأبواب ؛ العلوية والسفلية ، تُفتح إلا .. بابه

وأنا أطرق .. أطرق

حتى تصبح قبضتي المحمومة خفاشاً يتعلق في بدول !

... ..

يتدفق من قبضتي المجروحة خيط الدم

يترقق .. عذماً .. منساباً .. يتساند في المنحنيات

تغتسل الرئتان المتعبتان من اللون الدافئ ،

ينفث السّم ..

بتلاشي الباب المغلق .. والأعين .. والأصوات

... وأموت على الدرجات !!

تدق فوق الآلة الكاتبة القديمة

وعندما ترفع رأسها الجميل في افتراق الصفحتين

تراه في مكانه المختار .. في نهاية الغرفة

يرشف من فنجانه وشفه

يربح عينيه على المنحدر الثلجي ، في انزلاق الناهدين !

(.. عينيه هاتين اللتين

تغسل آثارها عن جسمها - قبيل أن تنام - مرتين !)

وعندما ترشقه بنظرة كظيمة

فيسترد لحظة عينيه : يتسم في نعومة

وهي تشد ثوبها القصير فوق الركبتين !

... ..

.. في آخر الأسبوع

كان يُعَدُّ - ضاحكاً - أسنانها في كفيه

فقرصت أذنيه ..

وهي تدس نفسها بين ذراعيه .. وتشكو الجوع

- ٨ -

حين تكونين معي أنت :

أصبح وحدى ..

في بيني !

... ..

- ٩ -

جاءت إليّ وهى تشكو الغيان والذوار

(.. انفتحت راتبي على أقراص منع الحمل !)

ترفع غوى وجهها البتل ..

تسألني عن حل !

... ..

هنأني الطبيب ! حينما أصطحبها اليه في نهاية النهار

رجونه أن ينهى الأمر .. فتأز (.. واستدار يتلو قوانين

العقوبات على كى أكف القول !)

هامش :

أفهمته أن القوانين تُسنّ دائماً . لكى تحرق

أن الضمير الوطنى فيه يُعمل أن يقلّ النسل

أن الأثاث صار غالباً لأن الجذب أهلك الأشجار

لكنه .. كان يخاف الله .. والشرطة .. والتجار !

- ١٠ -

في ليلة الزفاف ! في التوهج المرهق

ظلت تُدير في الوجوه وجهها المنتصر المشرق

وحين صرنا وحدنا - في لحظة الصمت الكثيف الكلمات

داغبت الخاتم في اصبعها الأيسر ، ثم انكسحت عجلى !

(.. كانوا - وراء الباب - يكتسون النور والظلاً

وتخلع الرافضة الشقراء عريها .. وتحسب الهبات !)

قلت لها : ما أجمل الحفلا

فاطرقت باسمّة الغمازتين والسمات .

وعندما لمسناها : تتلجت أطرافها الوجلى !

وانفلتت عجلى .. !

كأنها لم تذق الحب .. ولم يثر بصدرها التنهدات !

- ١١ -

مذ علّقنا - فوق الحائط - أو سمة اللهفة

وهى تطيل الوقفة في الشرفة !

واليوم ..

قالت إن حبالى الصوتية تقلقها عند النوم !

.. وانفردت بالفرقة !!

- ١٢ -

في جلسة الإفطار ، في الهنيهة الطفلية المبكرة

أعصب عيني بالصحيفة التى يُدسها البائع تحت الباب

وَرَوْحَتِي تَدَا ثَرْتَرْتَهَا الْيَوْمِيَّةُ امْتَابِرَةً
وَهِيَ تَصُبُّ شَائِبَهَا الْفَاتِرَ فِي الْأَكْوَابِ !
(.. تَقْصُ عَنْ جَارَتِهَا الَّتِي ارْتَدَّتْ ..
وَجَارَهَا الَّذِي اشْتَرَى ..

وَعَنْ شَحَارِهَا مَعَ الْخَادِمِ وَالْوَبَّاءِ وَالْقَصَابِ ،
.. ثُمَّ تَشُدُّ مِنْ يَدَيَّ : صَفْحَةُ الْكُرَّةِ) !

- ١٣ -

.. الْعَالَمِ فِي قَلْبِي مَاتَ .

لَكِنِّي حِينَ يَكْفِ الْمَذْبَاحُ ، وَتَتَغْلَقُ الْحَجَرَاتُ :
أَخْرَجَهُ مِنْ قَلْبِي ، وَأَسَجَّيْهِ فَوْقَ سِرِيرِي
أَسْقِيهِ نَبِيذَ الرِّغْبَةِ

فَلَعَلَّ الْمَدْفَاءَ يَعُودُ إِلَى الْأَطْرَافِ الْمَارِدَةِ الصَّلْبَةِ
لَكِنْ .. تَتَفَتَّتُ شَرَّتُهُ فِي كَفِّي
لَا يَتَبَقَّى مِنْهُ سِوَى .. جَمْحَمَةٍ .. وَعِظَامٍ !
... .. وَأَنَام !!

(١٩٦٧)

اجازة فوق شاطئ البحر

أغسطس ،

الاسكندرية :

واليوڊ يسع في رثتين ..

يسد مسامهما الربو .. والأنزلة !

...

طفولة « مايو » شيخ ،

وفي الصبح : نرفع راياتنا البيض للبحر .. مستسلمين ،

لِنَحْرَنَّا الْمَلْحَ ، بِمَنْحِ بَشَرَتِنَا التَّمَشُّ الْبَرَصِيَّ ،

ونفرش أسطحة الظَّهْرِ ، نَجْلِسُ فَوْقَ الرَّمَالِ ،

نُجْرِوُحُ فِي حَزْنِنَا الْغَامِضِ الشَّقِيئِ .. لَكِي يَتَوَهَّجَ !

(.. حِينَ هَمْنَا بِإِمْسَاكِهِ : احْتَرَقَتْ يَدُنَا !) ،

تَنَلِمُسُ نَدَى الْبَكَارَةِ .. كَيْفَ تَجْفُ النَّصَارَةُ فِيهِ ،

فَيَفِرُّ سَمًّا .. وَدُودًا يَعِثُ بِتَفَاحَةٍ مَعْطَبَةٍ ؟!

... ..

وفي الليل . نَحْفِضُ رَايَاتِنَا ..

رُدِّيهِ ، رُدِّيهِ .. يَتْرُو لَنَا الْحِكْمَةَ الصَّائِبَةَ ،
وَلَكِنَّا ابْتَسَمْتُ بِسَمَةِ شَاحِبَةٍ !

.....

وَكَانَتْ عَلَى الْبَحْرِ رَايَةً حَزِينٍ ، وَغَضِبُهُ رِيحٌ
وَنَحْنُ — مَعَ الصَّمْتِ — نَحْمَلُ جَثَائِهِ فَوْقَ اكْتِنَانَا ،
ثُمَّ نَهْبِطُ فِي طَرَقَاتِ الْمَدِينَةِ ،
نَسْتَوْقِفُ الْعَابِرِينَ ،
نَسْأَلُهُمْ عَنْ طَرِيقِ الْمَدَافِنِ .. وَالرَّحْلَةَ الْخَائِبَةَ !
وَلَكِنَّا فِي النِّهَايَةِ ..

عَدْنَا إِلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ .. وَالرَّايَةَ الْغَاضِبَةَ !!

• • •

بَدَأَتُنَا الْبَحْرُ ..

— حِينَ قَصَدْنَا الْمَقَابِرَ ! —

كَيْفَ رَجَعْنَا إِلَيْهِ !؟

وَكَيْفَ الطَّرِيقُ اشْتَبَهَ !؟

(١٩٦٦)

نَنْقُضُ الْمَدَنَةَ الْأَبَدِيَّةَ ،

نَجْرُو أَنْ نَسْأَلَ « هَلْ نَحْنُ مَوْتَى » !؟

وَجَوْلَانُنَا فِي الْمَلَاهِي ،

اهْتَرَأَزَانُنَا فِي التَّرَامِ ،

تَلَاصَقْنَا فِي ظِلَامِ الْمَدَاخِلِ ،

ذَبَذَبَةُ النُّظَرَاتِ أَمَامَ الْمَعَاضِي وَالْعَابِرَاتِ الرَّشِيقَاتِ ،

مَرْكَبَةُ الْخَيْلِ حِينَ تَسِيرُ الْمَوْنَى بِنَا ،

الضَّحَكَاتِ ، النِّكَاتِ —

بَقَايَا مِنَ الرَّيْدِ الْمُرِّ .. وَالرَّغْوَةِ الذَّاهِبَةِ !!؟

« تَرَى نَحْنُ مَوْتَى .. »

وَنَنْشَبُ أَنْيَابَنَا فِي الطُّيُورِ الْمَهَاجِرَةِ الْمُتَعَبَةِ !!

(٢)

صَدِيقِي الَّذِي غَاصَ فِي الْبَحْرِ .. مَاث !

فَحَنَظَّتُهُ ..

(.. وَاحْتَفَظْتُ بِأَسْنَانِهِ ..)

كُلُّ يَوْمٍ إِذَا طَلَعَ الصُّبْحُ : أَخَذْتُ وَاحِدَةً ..

أَقْدَفُ الشَّمْسِ ذَاتَ الْحَيَا الْجَمِيلِ بِهَا ..

وَارْدَدْتُ : « يَا شَمْسُ ! أَعْطِيكِ سُنَّتَهُ الْوَلَوِيَّةَ ..

لَيْسَ بِهَا مِنْ غَبَارٍ .. سِوَى نَكْهَةِ الْجُوعِ !!

موت مغنية مغمورة

صوت (١) :

أغلقى المذياع ؛

هذا زمن السكينة ،

« سالومي » تغنى ..

من ثرى يحمل رأس « المعمدان » ؟

...

في انكسارات الظلال ..

تبدأ الأحزان في أعماقنا إيقاعها الهادى ،

تصحو الرغبة المرتعشة .

تتوالى قطرات الصمت من صنوبرها الفضى ،

كفى ترسم في صفحة ماضينا .. الدوائر

صورة لأمرأة تجلس في البهو — تحوُّك الصوف —

في مئزرها البيئى ، لفاء الضفائر

نقرات المطر العذبة في النافذة البيضاء ،

دفع الدفء من تمتمة القطعة ،

موسيقى السكون الموحشة

مركبات الغد تدنو في الخيال ..

تمهل الأفراس عند الباب :

« أين القادمون ؟ »

— الليل .. الوحدة .. والشوق الخال !

(تقاسيم) :

عقب استعراضها الفاشل .. لم تخلع رداء الرقص ،

ظلت خلف أستار « الكواليس » ،

تُرَدُّ السحب الزرقاء عن أعينها ، تبكي شباهاً ..

كانت المتعة فيه : قطعة الجبن .. وكأسين من « الروم »

لكى تمرح في غرفة ريفي من الطلاب ..

لا تملك مئاة سوى الكسرة والتبغ الرخيص ،

— الآن يمشي خلفه .. سرب من الأطفال ،

عند النوم يسقطون على منظاره الطبي .. حتى لا يرى

وجهها صافٍ .. وعيناها غديران من الحزن ،

ويهدنو الخادم الأسمر ، يلقى باقة الورد ،

ويلقى دعوة للسهر ..

(. الآن ستمضى ،

وغدا سوف يوافيها الطبيب — الموت والاجهاض —

هذا شهرها الثالث . رغم الحذر الشائع !
حتى أنت يا أفراس منج الحمل !
ما من أحد في هذه الدنيا جدير بالأمان !

الموت في لوحات

(١)

مصفوفة حقالي على رفوف الذاكرة .
والسفر الطويل ..
يبدأ دون أن تسير القاطرة !
رسائل للشمس ..
تعود دون أن تمس !
رسائل للأرض ..
ترد دون أن تفض !
يميل ظلي في الغروب دون أن أميل !
وها أنا في مقعدى القاطن .
وريقة .. وريقة .. يسقط عمري من نتيجة الحائط
والورق الساقط
يطفر على بحيرة الذكرى ، فتلتوى دوائرنا
وتختفى .. دائرة .. فدائرة !

(٢)

شقة يفتي « رجاء » ماتت وهي دون الثالثة .

منفرد

من يفترس الحمل الجائع
غير الذئب الشبعان ؟
ارتاح الرب الخالق في اليوم السابع
لكن .. لم يسترح الانسان

صوت (٢) :

وحدها .. تساقط الدمعة من عين الليال
بعد أن علقها الوهم طويلا ..
وحدها ، سرعان ما ترشفها الأرض !
وينساها الرجال
شربوا قهوتها المرة ، والمذايق مازال ينثى !
والمصاييح تُضاء !

ماتت وما يزال في دولاب أمي السرى .
سندلها الفضى !

صدارها المشغول ، قرطها ، غطاء رأسها الصوفى
أرنبها القطنى !

وعندما أدخل بهو بيتنا العمامت
فلا أراها تمسك الحائط .. عليها تقف !
أنسى بأنها ماتت ..

أقول . ربما نامت ..

أدور في الغرف .

وعندما تسألني أمي بصوتها الخافت
أرى الأسى لى وجهها المتقنع الباهت
وأستين الكارثة !

(٣)

عرفتها في عامها الخامس والعشرين .
والزمن العنّين ..

ينشب في أحشائها أطفاله الملوثة .
صلّت إلى العذراء ، طوقت بكل صيدلية
تقلب بين الرجال الخشنين !
.. وما تزال تشتري اللفائف القطنية !

.. ما تزال تشتري اللفائف القطنية !

... ..

وحين ضاجعت أبها ليلة الرعد
تفجرت بالخصب والوعيد
واختلجت في طينها بشارة التكوين !
لكنها نادت أبها في الصباح ..
فظل صامتة !
هزته .. كان ميتا !!

(٤)

من شرفتي كنت أراها في صباح العطلة الهادئ
تنشر في شرفتها على خيوط النور والغناء
ثياب طفلها ، ثياب زوجها الرسمية الصفراء
قمصانه المغسولة البيضاء .
تنشر حولها نقاء قلبها الهائى
وهى تروح ونحيى .

... ..

والآن بعد أشهر الصيف الرديء
رأيتها .. ذابلة العينين والأعضاء
تنشر في شرفتها على حبال الصمت والبكاء

(٥)

حببتي في لحظة الظلام ؛ لحظة التوهج العذبة
تصبح بين ساعدتي جثة رطبة !
ينكسر الشوق بداخلي ، وتخفت الرغبة
أموء فوق نخدها
أضرع فوق نهدها
أود لو أنفذ في مسام جلدتها
لكن .. يظل بيننا الزجاج .. والغياب .. والغربة !
.....

و ذات ليلة ، تكسرت ما بيننا حواجز الرهبة
فاحتضنتني .. بينا نحن نفوس في قرارة التربة
تبعثت في رأسها شرائح الصورة والنجوم
واختلطت في قلبها الأزمنة المشيم
لكنها وهي تناجيني
سمعتها تناديني
باسم حبيبها الذي قد حطم اللعبة
مخلفاً في قلبها .. ندبة !!

بطاقة كانت هنا

(١)

المنزل الثالث بعد المنحنى
الطابق الأخير .
بطاقة صغيرة كانت هنا
وخيط ضوء كان من خلال بابها ينير !
الطابق الأخير ..
الوحشة السوداء في الأعصاب تنفوس
يدى على الجرس :
سدى .. سدى !!
تراجعت في أذني رحلة الصدى
وأساقت الرماد من لفافتي !
كانت هنا حببتي
عيونها محابر الضياع
عام .. وعامان .. مداها الحزين لم يجف
صلاة هرة إلى الشتاء خلف باب

وبسمة كأن نورماً على المدى يرقى !
ها أنذا ..
يدّ تساندت على الجدار .
وخطوة تهبط للقرار !

(٢)

حانوث خمار كئيب
يرسم في كئوسه عرائس الأحلام ، في الزجاج
توهجت عند امتلائها ..
وبعد برهة .. عاودها الشحوب !
حبيبتى ملاح ابتسامة على يريقها الوهاج
« بنلوب » أين أنت يا حبيبتى الحزينة ؟
صيفان ملحدان في مخاطر الأمواج
كقبضة من العفونة ..
أعود ، كى يغتسل الحنين في بحيرة اللهب .
لكننا « بنلوب » ..
بطانة كانت هنا !
ووحشة غريبة ، وثقب باب لم يعد يضيء !
وعنكبوت قد أتم — فوق ركنه — نسيجه الصوفى !

لقد أتمّ العنكبوت ما بدأت في انتضارك الوفى !
ما كان كان ..
لكننا ملاح الزجاج
لا تعرف النسيان !

(٣)

الليل عند المنتصف
يا سائق السيارة العجوز .. قف
المنزل الثالث بعد المنحنى ..
لكنها يا صاحبي العجوز .. لم تعد هنا !
امض هناك حيث لا مكان
حيث البيوت دوغما عنوان
أوغل بنا في رحلة السراب
قافلة الغناء تستعد للمسير خلف دورة الهضاب
لا تسأل الحادين عن وجهتها ، عن المآب
فهم هناك يرقبون أصبع النجوم
ضاعت معالم الطريق في الضباب .
حبيبتى لا بدّ أنها هناك
تسأل عن رواحل ارتدت من الغروب
لا ترتبك ، فقد يضيع العمر في هنية ارتباك .

حبيبتى : لقد نجوت من « سلوم »
طفلك آت من مدينة الخراب
الموت ما يزال مقعياً على الأبواب
الخاطئون .

هم الذين يرحلون
في هذه القافلة المسدودة الدروب
... ..
سدى .. سدى ..

تراجعت في أذننى رحلة الصدى
وأساقط الرماد من لفافتى .

ظماً .. ظ

جسدى : صخرة صهرتها الظهيرة .
حلقتها يتفتت ،

والبحر بعد ذراعين .. بعد السماء !
فرسُ الموج تنفض أعرافها البيض ،
تعدو بمركبة الزرقة اللهيية ،

لكنها تتحطم فوق الحواجز .. تهوى كسيرة !
أكشف الرأس تحت الرذاذ ،

أمد يدي حاملاً كويى الفارغ الورقى ..
لتسبح فيه الفقاقيع ذات العيون الصغيرة
عطش .. عطش ، والنداء .

خنجر في الهواء !
حين صار فمى فضة : وقف البيغاء ..
عاريا .. نزعت ريشه يدها المنقعة .
قالت الزنبقة :

« أرخ عينيك .. وافتحهما .. »
ثم .. لم ألفها في شجيرتها المطرقة !

شعرها طائر جرفته الرياح

شعرها والوشاح

وهي تمدو .. وما بيننا الصمت والقشعريرة !

كل من شربوا .. هربوا دون أن يدفعوا ثمناً للعزاء

رحلوا .. بعد أن قلبوا في التراب الاناء .

ووفدت على الحان : لم أر غير الحطام ..

وذبال المصابيح .. والقط يعث بالفضلات الأخيرة .

— سيدى : مُلكك الحزن والكبرياء

خيبتك ؟ انقطع الخيط منك ،

وعصفوره فر دامي الجناح !

أمرء المدينة مروا إلى الصبد عند الصباح

الفريسة تجرى .. ولكن كلبك يُرعى الذئب

وهو يكتم في رثيته النباح !

...

في سكون المساء

كنت أنقر عين الشهيد المجسم فوق النصب

حين مر السكارى .. يدورون في حلقات الصخب

يبدأون الغناء :

« ياعيون النساء »

« أمطرى .. أمطرى »

« من ثرى تشتري خنجري »

« لتخبئه في حقيبتها .. »

« ثم تبقر بطن غريمها المومياء ؟ »

(. أيها الأشقياء !)

.. مر في التائه المقرب

فتمدد فوق الحشائش .. ملتصقاً بالرخام

وتوسد دمعته ، ثم نام .

(ظمئ الناس للدم في كل قلب محب ..

فاسقهم يا غلام !)

مر في غاسلو الطرقات

فأداروا خراطيمهم ، غسلوا النصب الحجري ،

.. وكنت على الدرجات

أناؤه مرتعشاً ، وثيابي تلصق في جسدى المضطرب

والرياح تمه ، وتصغنى بالعواء .

... ..

أهلى الغرباء .

عزروا لي مع الصباح ، أهذى بغيوبة الموت ،

محتقن الوجه ، خاوى الوفاض

يتفتت حلقى لقطرة حُب ..

غير أن البنابيع جفت بعيني ، والبحر غاض ..

ويهوى البياض !

الحزن لا يعرف القراءة

تأكلنى دوائرُ القُبار .
أدور فى طاحونة الصمت ، أذوب فى مكانيّ المختار
شيئاً فشيئاً .. يختفى وجهي وراء الأقمعة
أعمدة البرق التي تطل من نوافذ القطار
كأنها سربُ إوزٍ أسود الأعناق
يطلق فى سكينتي صرخته المروعة
ويختفى .. متابعاً رحلته مع التيار !
(صوئلك كان ؟)
أم نعاسُ الشهوة الماكر ما بين انفراج الشفتين ؟
هذا الذى يشبك قلبى خاتماً .. تحت نعومة القفاز
حتى إذا اغتسلت — فى نهاية السهرة — من لزوجة الألفاظ
تجنيته على نافذة الحمام .. يستعيد ذكرياته ..
ويسترد الزمن الضائع بين الصورتين ؟ !)

توقفى أينما الأشرطة البيضاء
فقد نرى الحيط الذى خلفه الثعبانُ فوق الصحراء

قد نرى عظام من ماتوا من الظمأ

قد نرى .. وقد نرى ..

كنها الأشياء ..

لدب فيها نبضها الوحشئ ، نبضها المكبوت

نروى على وجهى دقيق دفتها ..

مزقا من ورقات الثوث .

شرع فى العيون صولجانها المكسو بالصدأ

فى المقاهى ترفع الصوت ، وتعكى عن فضائح البيوت !

- فى آخر العمر ، تصير الأذن عادة ..

سلة مهملات .. !

(جوارب السيدة المرتبة

ظلت تثير السخرية

وهى تسير فى الطريق .

وحين شدتها : تمزقت ..

فانفجر الضحك ، ووارت وجهها مستخذية .

وهكذا أسقطها الصائد فى شباك سيارته المفتوحة

فارتبكت وهى تسوى شعرها الطليق

وأشرقت بالبسمات الباكية !)

...

لقد فقدت مقعدى .. قبل أن يرتفع الستار

وانكسرت فى داخل الرغبة فى استرداده ، الرغبة فى الشجار

فكل شيء برغنى فى لحظة التأهب المرتقبة

وتعبت الأيدي بأزرار قميصها المذهبة

وتنظف فقاعة السخط .. ببسمة اعتذار !

شيئا فشيئا .. غاب عن قلبى خيط الضوء !

واللحظة الملتببة !

والنشوة الأولى التى تشد الظهر ..

حين يدق سمعنا إيقاع خطو امرأة مقتربة !

وضحكة العذراء عندما يرشها رذاذ البحر !

والألم الذى يهضرنا لطفلة عرجاء !

والدفء فى استغراق كهل جالس ، يحل فى هدوء ..

مسابقات الكلمات .. !!

...

رعوسنا تسقط .. لا يسندها ..

إلا حواف الياقة المنتصبة !

فارحم غذائى أيها الألم ..

واسند حطامى للنهار .

بكائية الليل والظهيرة

- ١ -

في كل ليل ..

تخلع الذكرى ملابسها المعبرة القديمة ،
تستحم برششات الضوء ؛ تفصل فيه ، وعشاء الطريق
وتسترد نضارة الألوان .. والمرح العديم .
نديانة .. كالظل ، تخلع حُفها المبلول ،
تستلقي جوارى في الظلام ؛ تضئ بشرتها :
برائحة التوغل في الحقول ..
برعشة القمر المورجج في مرايا النيل ..
بالقطرات تلمع في منابت شعرها المخلول ..
بالنبض الخجول .. يرف في استدفائها ..
باللغة الغناء في الصوت الرخيم
.. وذراعها يلتف : يرتعش التوهج تحت لمسته .
وتقلع آخر السفن المقدسة المضيفة من مرافئها ؛
تشق النهر ؛ تنثر ما تبقى من رمادى ؛
فوق أذرة الحريف البائسات .. فتكنسى ،

١٦٤

فوق الشفاه اليابسات .. فترتوى ،
فوق المروج .. فتنتوى في الليل موسيقى الجنادب ،
في الحظائر .. يهدأ الشهرُ الحرون ،
على منافير الطيور .. فتقطع الأفراخ من توت الغناء الحلو
في عقم السماء .. فتنبض البشرى ، وتنعقد الغيوم .

يا دقة الساعات
هل فاتنا .. مافات ؟
ونحن مازلنا ..
أشباح أمتيات
في مجلس الأموات ؟!

- ٢ -

فاض النهار بنا ، فمزق عن تصوفنا معاطفنا ،
وألقانا على أعتاب مملكة التهمة ، والذباب يطن ،
والكلمات : أقداح مكسرة الحواف ..
إذا لثمنها .. تجرحت الرؤى !
والصمت : قضبان محماة على وهج البكاء .
(فاض الاناء ، وعامل البرق الصغير يدق باب .. ت ؛

١٦٥

« — آو .. وتسقط الشمس الصغيرة عن رداء النوم
تبكى المرأة الأفعى على كتف العشيق ،
وتستزيد من البكائيات ، تلطم صدرها العارى يديه .
— لعله يبنى بها بعد الحداد ! —
تدير عينها اللتين تندنا .. فأذابتا بقع الضلاء ؟)

كان الطريق يدير لحن الموت — كان جهنمى الصوت — :
فوق شرائط التسجيل ..
في أسلاك هاتفه المختل ..
في صرير الباب من صدأ الغواية ..
في أزيز مراوح الصيف الكبيرة ..
في هدير محرّكات الحافلات ..
وفي شجار النسوة السوقى في الشرفات ..
في سأم المصاعد ..
في صدى أجراس إطفائية تعدو .. مصلصلة النداء .
(.. كوفى إذن ما شئت :

ساقطة تدور على مواخير الموائى ،
وجه راهبة تضاجع صورة العذراء ،
أماً تأكل الأطفال ،

كوفى أى شيء — فيه نغمس خبزنا الحجري — ملتهب
الدماء !)

دم الغبار يلح فوق وجوهنا ،
وتلوذ بالجدران تخفر فوقها أسماءنا .. لكنها تنفتت !
جدران وهم ..
ولرجال الملققون على مساحة صفحة الإعلان ،
ولصور الثمينة في المعارض ، والنقوش على المعابد ،
والوسام العسكري لأنبال الشهداء ،
والزهو الذى يندس في رحم النساء .
.. تلك المرأة :

تمت جلسات شاي العصر ..
تمت انتعاشتنا بلسع الماء في حمامنا الصيفى —
تمت البراءة في تساؤل طفلنا من أين جاء !)

يا آخر الدقات
قولى لنا .. من مات .
كى نحتسى ذمّه
ونختم السهرات

...

- ٣ -

ماذا تخشى في حقيبتك العتيقة .. أيها الوجه الصفيق
أشهادة الميلاد ؟

أم صك الوفاة ؟

أم التهمة تطرد الأشباح في البيت العتيق ؟

ماذا تخشى أيها الوجه الصفيق ؟!

ماذا تخشى أيها الوجه الصفيق ؟!

(١٩٦٦)

أشياء تحدث في الليل

إلى صلاح حسين ..

رخاوة النعاس تغمر المسافرين في قطار الليل .

.. وفي حقول قرية بعيدة

شق السكون — فجأة — عواء ذئب

وانعقد الحليب في الضروع

وانطلق رصاصة :

فكفت الأشياء — بعدها — عن الوجيب ..

هنيئة ، ثم استعادت نبضها الرتيب ..

وكانت الليلة .. لا تزال مقمرة !

(كان النشيد الوطني يملأ المذياع منبهاً برامج المساء

وكانت الأضواء تنطفئ ..

والطرقات تلبس الجوارب السوداء

وتغمر الظلال روح القاهرة .)

والدم كان ساخناً يلوث القضبان

هذا دم الشمس التي ستشرق ، الشمس التي ستغرب ،

الشمس التي تأكلها الديدان !

دمُ القَتيل أحمر اللون ،

دم القَتيل أخضر الشعاع

خيَّطَ عليه تُشعر الدموع .. كى تجفَّ في أشعة الصبح

(وكان مبنى الاتحاد صامتاً .. منطفىء الأضواء

تسرى إليه من غير « هيلتون القريب ..

أغنية طردب !)

وكان وجهه النبيل مصحفاً عليه يُقسم الجياع

وكانت الذراع ..

فارعة ، كأن محراثاً يشق الأرض !

كانت الذراع ..

ضامرة .. كبذرة القمح

ضامرة كالسنة الأولى التى تبتُّ في فم الرضيع !

(وكانت المطابع السوداء تُلقي الصحف .. البيضاء

وصاحبان في ترام العودة الكسول

يحتصمان في نتائج الكرة .

وفي طريق الهَرَم الطويل .

تبادلت سيارتان — كادتَا في الليل أن تصطدما —

السَّباب !)

...

وفي الصباح ، والنشيدُ الوطنيُّ يملأُ الأسماع

كان قَرَّاشُ الحقل يبدأُ التشييع

وكانت الأصواتُ في القرى .. جنائزيةً الايقاع

ورحلةُ الموال في الضلوع تفرد القلوع :

« أدهم مقتول على كل المروج »

« أدهم مقتول على الأرض المشاع »

... ..

وكان وجهه النبيل مصحفاً ..

عليه يقسم الجياع !

العشاء الأخير

بكائية :

أعطني القدرة حتى ابتسم ..
عندما ينغرس الخنجر في صدر المَرَح
ويدب الموت ، كالقنفذ ، في ظل الجدار
حاملاً مبخرة الرعب لأحداق الصغار .
أعطني القدرة .. حتى لا أموت .
منهك قلبي من الطرق على كل البيوت
علني في أعين الموتى أرى ظل ندم !
فأرى الصمت .. كمصفور صغير
ينقر العينين والقلب ، ويعوى ..
في ثايلا كل فم !

- ١ -

« الرياح » اختبأت في القيو ، حتى تستريح ..
.. فيه من أرجحة الأجساد فوق المشقة .

ووقفنا نحرس الباب ، ونحصى الأزقة
بيننا خيل الممالك تدق الأرض بالخطو الجموح
يقتفون الأثر
يسألون الدرب عن خطوة ريج فيه ، عن أية ريج ! .
فنفض البصر !

ومضوا ، والسنيك المجنون يهوى ، فيصب الشررا
وتواروا في الحواري الضيقة .
.. نحن عدنا نحمل البشرى لها
وهتفنا باسمها
وهزنا كتفيها ، عبثا ..
وتدلت رأسها في راحتنا .. مئة !
نحن كنا نحرس الباب ، ونحصى .. اللافنة
وهي — تعويدتنا — لم نحملها !

- ٢ -

الخيول المرسجة . !
صهلت ، لكن هل الفرمان فرسان كما كانوا .. غدا ؟
والمهاميز التي تحملها الأقدام .. غاصت في القلوب !
وسيقو ثلثت ..
فقد استأجرها النحاس .. تحمي هودجه !

وسيف قنعت أن تتدلى عند الاستعراض .. زينة !
وحائل ..

حملتها في دياجى الليل أضلاعُ المقاصل
ودقاً نبلها المقهور في عام البكاء .

.. شبحُ الفرسان ما زال على وجه المدينة
صامتاً يأتي إذا جاء المساء
صامتاً ينفذ أطراف الرداء
ويعمد الجسدا ..

فيعد الخوف في الليل يدا !
ثم يمضي ، يحمل الأكفان ، يسرى في الدروب
يحمل الأكفان أثواب ركوب !
والمهاميز التي تحملها الأقوام .. غاصت في القلوب !

- ٣ -

التحيات « مساء الموت » ياقلبي
فلا تلق التحية

— من ترى مات ؟
— أنا ..
— أنت !
— أجل .

— أنت لا تملك يوماً أن تموت .
— الحمامات لوث أعناقها ..
والنوى حتى لسانى بالرطان
— أنت لا تعرف من أنت ..
— أنا :

منذ أن مات ألى ..
كل من تعشقه ألى الرئة ..
كل من تعشقه ألى : أب لي في العمد !
— ربما « أحس » ربتة امرأة .

— .. ذهبُ الشمس العجوز انصهرا
وهوى فوق نفايات الثرى
وأنا أبكى على تل الرماد !
يفتح الخلب أجفان العيون
لترى .. لكن ترى ماذا ترى ؟

(ساعة الحائط في معبد « هاتور » .. انتهت دقائقها
وانتهت « طروادة » البكر .. على وهم الحصان !)
— .. أنا « أوزوريس » صافحت القمر
كنت ضيفاً ومضيفاً في الويحه
حين أجلسُ لرأس المائدة
وأحاط الحرس الأسود بي

- ٤ -

عندما يتلح (الكورنيش) أضواء الغروب
تسعل الظلمة فيه والبرودة
يحمل الجوع إلى العار .. وليده
كلمات ..

ثم تنسل من البرد .. لدفع العربات .
والمصاييح : شظايا قمر .. كان يضيء
حطمته قبضة الطاووس فوق الطرقات
ثم أهده إلى النسوة .. كي يصلبه فوق الصدور .
يتباهين به .. وهو رفات !
كلمات .. كلمات ..

ثم تنسل من البرد لدفع العربات .
وأنا « يوسف » محبوب « زليخا »
عندما جئت إلى قصر العزيز
لم أكن أملك إلا .. قمرا
(قمرا كان لقلبي مدفأة)

ولكم جاهدت كي أخفيه عن أعين الحراس ،

فتطلعت إلى وجه أخى ..

فتفاضت عينه .. مرتعدة !

أنا أوزوريس ، واسيت القمر
وتصفتحت الوجوه ..

وتنبأت بما كان . وما سوف يكون ؟

فكسرت الخبز ، حين امتلأت كأسى من الخمر القديمة

قلت : يا أخوة ، هذا جسدى .. فالتهموه

ودمى هذا حلال .. فاجرعوه !

خبأ المصباح عينيه .. بأهداب جناحيه ..

لكى تخفى الجريمة

وتثنى الضوء من حد الخناجر !

— ربما أحيالك يوماً دمع « ايزيس » المقدس

غير أنا لم نعد نتجب ايزيس جديدة

لم نعد نصغى الى صوت النشيج

ثقلت آذاننا منذ غرقنا فى الضجيج

لم نعد نسمع إلا .. الطلقات !

(يفرض الرعب الطمأنينة فى ظل المسدس ..)

— الطمأنينة فى ظل الحداد !

— سيدى .. نحن انزلقنا من ظهور الأمهات

بيد تضغط ثقب الجرح ،

ربما نُورٌ في الظلمة برهة .
غير أني كنتُ جائع
وأنا الآن فقدتُ القمر .

... ..

جائع يا قلبي المعروض في سوق الرياء
جائع .. حتى العياء
ما الذي آكله الآن إذن ..
كى لا أموت ؟

(ديسمبر ١٩٦٣)

عن كلِّ العيون الصدئة
.. كان في الليل يضيء !
حملوني معه للسجن حتى أطفئه
تركوني جائعاً بضع ليال ..
تركوني جائعاً ..
فترأى القمرُ الشاحب - في كفى - كمكة !
وإلى الآن .. بحلقي ما تزال ..
قطعةً من حزنه الأسيب .. تُدميني كشوكة !

... ..

أعطني القدرة حتى أبتسم ..
فشعاع الشمس يهوى كخيوط العنكبوت
والقناديل تموت
قدمي تلتمس السُّلعة الأولى لكي أصعد فوقاً
ويدى تلتمس الحاجز إذ أخشى السقوط
كيف أبقى ؟
عفن الموتى ؛ وأطياب الخنوط
نكهة تكسو فناء البيت ، تسرى في دمي عرقاً فِعْراً .
.. منهكٌ قلبي من الظلمة ، إني لا أرى
آه لو لم ألتهمه - القمر الشاحب - لو ..

حديث خاص مع ابي موسى الأشعري

[حاذيت خطو الله ، لا أمامه ، لا خلفه ...]

- ١ -

.. إطار سيارته ملوث بالدم !

سار .. ولم يهتم !!

كنت أنا المشاهد الوحيد

لكنني .. فرشت فوق الجسد الملقى جريدتي اليومية

وحين أقبل الرجال من بعيد ..

مزقت هذا الرقم المكتوب في ورقية مطوية

وسرّ عنهم .. ما فتحت الفم !!

ooo

(حاربتي في جريهما

وعندما رأيته كلاً منهما .. متهما

خلعت كلاً منهما !

كفى يسترد المؤمنون الرأي والبيعة

.. لكنهم لم يدركوا الخدعة !)

ooo

حين دلفْتُ داخل المقهى

جرّدتني التادل من ثيابي

جرّدتُه بنظرة ارتياب

بادلته الكرّها !

لكنني منحتُه القرش : فزّين الوجها ..

ببسمه .. كلبية .. بلّها ..

ثم رسمت وجهه الجديد .. فوق علبه النقاب !

- ٢ -

رأيتهم ينحدرون في طريق النهر ..

لكي يشاهدوا عروس النيل — عند الموت — في جلوتها

الأخيرة

وانخرطوا في الصلوات والبكاء .

وجثت .. بعد أن تلاشت الفقايع ، وعادت الزوارق

الصغيرة

رأيتهم في حلقات البيع والشراء

يقايضون الحزن بالشواء !

.. تقول لي الأسماك

تقول لي عيونها الميتة القريرة :

ان طعامها الأخير .. كان لحماً بشرياً ..

قبل أن تحرفها الشباك !

يقول لى الماء الحبيسُ فى زجاج الدورق اللماغ
ان كلينا .. يتبادلان الابتلاغ !
تقول لى تحنيطة التماسح فوق باب المنزل المقابل
إن عظام طفلة .. كانت فراش نومه فى القاع !!

(خلعتُ خاتمى .. وسيدى .

فهل تُرى أحصى لك الشاماتِ فى يدي
لتعرفينى حين تُقبلين فى غدٍ

وتغسلين جسدى

من رَغَوَاتِ الزَّيْدِ ١٩)

فى ليلةِ الوفاء ..

رأيتها — فيما يرى النائم — مُهرةً كسلى

يسرجها الخوذى فى مركبةِ الكراءِ

يهوى عليها بالسياط ، وهى لا تشكو .. ولا تسير !

وعندما ثرتُ .. وأغلظتُ له القولا ..

دارت برأسها ..

دارت بعينها الجميلتين ..

رأيتُ فى العينين : زهرتين

تنتظران قبلة . من نخلة هيص جناحها .. فلم تُعد تطير !

.. رأيتها — فيما يرى النائم — طفلة .. حبل !

رأيتها .. ظلا !

وفى الصباح : حينما شاهدتها مشدودةً إلى الشراع

ابتسمتُ ، ولوحت لى بالذراع

لكننى : عثرتُ فى سبرى !

رأيتُ .. غيرى !

وعندما نهضتُ : ألقىتُ عليها نظرةَ الوداع

كأننى لم أراها قبلا !

فأطرقتُ خجلى ..

ولم تقل لى رأيتها .. ليلا !

- ٣ -

خرجتُ فى الصباح .. لم أحمل سوى سجائرى

دسستها فى جيب سرق الرمادية

فهى الوحيدة التى تمنحنى الحب .. بلا مقابل !

رؤيا :

(ويكون عام .. فيه محترف السنايل والضروع
تنمو جوافرنا — مع اللعنات — من ظمأ وجوع
يتزاحف الأطفال في لعق الرى !
ينمو صديد الضمغ في الأفواه ،
في هذب العيون .. فلا ترى !
تساقط الأقرط من أذان عذراوات مصر !
ويموت لدى الأم .. تنهض في الكرى
تطهو — على نيرانها — النفل الرضيع !!)

حاذيت خطو الله ؛ لا أمامه .. ولا خلفه
عرفت أن كلمتي أثقة ..
من أن تنال سيقه أو ذهبه .

(حين رأيت عيناى ما تحت النياب : لم يعد يثرى !)
قلبت — حيناً — وجهي العملة
حتى إذا ما انقضت المهلة

ألقىتها في البر .. دون جلبة !
وهكذا .. فقدت حتى حلمه وعصبة .

(عيناك : لحظنا شروق
أرشف قهوى الصباحية من بئس المحروق

وأقرأ الطالع !

وفي سكون المغرب الوادع
عينك ، يا حبيبتى ، شجرتا برفوق
تجلس في ظلهما الشمس ، وترفو ثوبها المفتوق
عن فخذها الناصع !)

- ٤ -

.. وستبهطين على الجموع
وترفرقين .. فلا تارك عيوتهم .. خلف الدموع
تتوقفين على السيوف الواقعة
تسمعين المهمات الواجفة
وسترحلين بلا رجوع !

... ..

ويكون جوع !
ويكون جوع !

من مذكرات المتبى

(فى مصر)

• • أكره لون الخمر فى القنينة
لكننى أدمتها .. استشفاءا .
لأننى منذ أتيت هذه المدينة
وصرت فى القصور بيغاء :
عرفت فيها الداء !

• • أمثل ساعة الضحى بين يدى كافور
ليطمئن قلبه ؛ فما يزال طيره المأسور
لا يترك السجن ولا يطير !
أبصر تلك الشفة المثقوبة
ووجهه المسود ، والرجولة المسلوبة
.. أبكى على العروبة !

• • يومئذ ؛ يستشددنى : أنشده عن سيفه الشجاع
وسيفه فى غمده .. يأكله الصدا !
وعندما يسقط جفناه الثقيلان ؛ وينكفى .
أسير مثل الخطى فى ردهات القصر

أبصر أهل مصر ..

ينتظرونه .. ليرفعوا إليه المظلمات والرقاع !
.. جاريتى من حلب ، تسألنى « متى نعود ؟ »
قلت : الجنود يملأون نقاط الحدود
ما بيننا وبين سيف الدولة .

قالت : سمعت من مصر ، ومن رخاوة الركود
فقلت : قد سمعت — مثلك — القيام والقعود
بين يدى أميرها الأبهة .

لعت كافورا

وغئت مقهورا ..

• • « حولة » تلك البدوية الشموس
لقيتها بالقرب من « أريحا »

سوية ، ثم افترقنا دون أن نبوحا
لكنها كل مساء فى خواطرى تحبوس
يفتر بالشوق وبالعتاب ثغرها العبوس
أشم وجهها الصبوحا

أضم صدرها الجموحا !

... ..

سألت عنها القادمين فى القوافل

فأخبروني أنها ظلت بسيفها تقاثل ..

في الليل تجار الرقيق عن خيائها

حين أغاروا ، ثم غادروا شقيقها ذبيحا

والأب عاجزا كسيحا

واختطفوها ، بينا الجيران يرنون من المنازل

يرتلون جسدا وروحا

لا يجرؤون أن يغيثوا سيفها الطريحا !

... ..

(ساءلنى كافور عن حزنى

فقلت إنها تميش الآن فى بيزنطة

شريدة .. كالقطة

تصيح « كافوراه .. كافوراه .. »

فصاح فى غلامه أن يشتري جارية رومية

تجلد كى تصيح « واروماه .. واروماه .. »

.. لكى يكون العين بالعين

والسن بالسن !

• • فى الليل ؛ فى حضرة كافور ؛ أصابنى السأم

فى جلستى نمت .. ولم أتم

حلمت لحظة بكا

وجندك الشجعان يهتفون : سيف الدولة .

وأنت شمس تختفى فى هالة الغبار عند الجولة

منظياً جوادك الأشهب ، شاهراً حسامك الطويل المهلكا

تصرخ فى وجه جنود الروم :

عصيحة الحزب ، فسقط العيون فى الخلقوم !

خوض ، لا تبقى لهم إلى النجاة مسلكا

تهوى ، فلا غير الدماء والبكا

ثم تعود باسماً .. ومنهكا

والصبية الصغار يهتفون فى حلب :

« يا منقذ العرب »

« يا منقذ العرب »

حين تعود .. باسماً .. ومنهكا

حلمت لحظة بكا

حين غفوت

كنتى حين صحوث :

وجدت هذا السيد الرخوا

تصدر البهوا

يقص فى ندمانة عن سيفه الصارم

وسيفه فى غمده يأكله الصدأ !

وعندما يسقط جفناه الثقيلان ، وينكفى ..

تعلیق علی ما حدث

یتسم الخادم .. !
 .. تسألنی جارینی أن أکثری للبيت حرّاما
 فقد طفی اللصوص فی مصر .. بلا رادع
 فقلت : هذا سیفی القاطع
 ضعیفه خلف الباب . متراسا !
 (ما حاجتی للسیف مشهورا
 ما دمت قد جاورت کافورا ؟)
 .. « عید بأیة حال عدت یا عید ؟
 بما مضی ؟ أم لأرضی فیک تهوید ؟
 « نامت نواظیر مصر » عن عساکرها
 وحاربت بدلاً منها الأناشید !
 نادیت : یا نیل هل تجری المیاء دماً
 لکی تفیض ، ویصحو الأهل إن نودوا ؟
 « عید بأیة حال عدت یا عید ؟

(حزیران ۱۹۶۸)

في انتظار السيف !

وردة في عروة السرة :

ماذا تلدين الآن ؟

طفلاً .. أم جريمة ؟

أم تنوحين على بؤابة القدس القديمة ؟

عادت الخيل من المشرق ،

عاد (الحسنُ الأعصمُ) والموتُ المغيرُ

بالرداء الأرجواني ، وبالوجه اللصوصي ،

وبالسيف الأجيرُ

فانظري تمثاله الواقف في الميدان ..

(يهتُزُّ مع الريح . !)

انظري من فرجة الشباك :

أيدي صبيّة مقطوعة ..

رفوعة .. فوق السنان

(.. مُردِّفاً زوجته الحُبلى على ظهر الحصان)

أنظري خيمطَ الدم القاني على الأرض :

« هنا مرّ .. هنا »

فَانْفَقَاتْ تَحْتَ حُطَى الْجَنْدِ ..

عِيُونَ الْمَاءِ ،

وَاسْتَلَقْتُ عَلَى التَّرْبَةِ .. قَامَاثُ السَّنَابِلِ .

آه .. هَا نَحْنُ جِيَاعُ الْأَرْضِ نَصْطَفُ ..

لَكِي يُلْقَى لَنَا عَهْدُ الْأَمَانِ .

يَنْقُشُ السَّكَّةَ بِاسْمِ الْمَلِكِ الْغَالِبِ ،

يُلْقَى خُطْبَةُ الْجُمُعَةِ بِاسْمِ الْمَلِكِ الْغَالِبِ ،

يَرْقَى مِنْبَرَ الْمَسْجِدِ ..

بِالسَّيْفِ الَّذِي يَبْقُرُ أَحْشَاءَ الْحَوَامِلِ .

« »

تَلْدِينِ الْآلِ مَنْ يَحْبُو ..

فَلَا تَسْنَدُهُ الْأَيْدَى ،

وَمَنْ يَمْشِي .. فَلَا يَرْفَعُ عَيْنِيهِ إِلَى النَّاسِ ،

وَمَنْ يَنْظِفُهُ النِّخَاسُ :

قَدْ يَصْبِحُ مَمْلُوكًا يُلَوطُونَ بِهِ فِي الْقَصْرِ ،

يُلْقُونَ بِهِ فِي سَاحَةِ الْحَرْبِ ..

لِقَاءَ النَّصْرِ ،

هَذَا قَدَرُ الْمَهْزُومِ :

لَا أَرْضَ .. وَلَا مَالَ .

وَلَا بَيْتَ يَرُدُّ الْبَابَ فِيهِ ..

دُونَ أَنْ يَطْرُقَهُ جَابٌ ..

وَجَنْدِي رَأَى زَوْجَتَهُ الْحَسَنَاءَ فِي الْبَيْتِ الْمَقَابِلِ (

أَنْظُرِي أَمْتِكَ الْأَوَّلَى الْعَظِيمَةَ

أَصْبَحَتْ : شَرِذْمَةً مِنْ جَثِبِ الْقَتْلِ ،

وَشَحَازِينَ يَسْتَجِدُّونَ عَطْفَ السَّيْفِ ،

وَالْمَالُ الَّذِي يَنْتَهَرُهُ الْغَازِي ..

فَيَهْوَى مَا تَبَقَّى مِنْ رِجَالٍ ..

وَأَرْوَمَةٍ .

أَنْظُرِي ..

لَا تَفْزَعِي مِنْ جُرْعَةِ الْحَزَنِ ،

أَنْظُرِي ..

حَتَّى تَقِيئِي مَا بِأَحْشَائِكَ ..

مِنْ دَفْعِ الْأُمُومَةِ .

« »

تُقْفَرُ الْأَسْوَاقُ يَوْمَئِذٍ ..

وَتَعْتَدُ عَلَى « النَّقْدِ » الْجَدِيدِ

تشتكى الأضلاعُ يومين ..

وتعتاد على السوط الجديد

يسكت المذياعُ يومين ..

ويعتاد على الصوت الجديد

وأنا منتظرٌ .. جنب فراشك

جالسٌ أرقب في حُمتي ارتعاشك —

صرخةَ الطفل الذي يفتح عينيه ..

على مرأى الجنود !

(يوليو ١٩٧٠)

فقرات من كتاب الموت

- ١ -

كل صباح ..

أفتح الصنبورَ في إرهاب

متسللاً في مائه الرقاق

يسقط الماء على يدي .. دَمَا !

... ..

عندما ..

أجلس للطعام .. مُرغماً :

أبصر في دوائر الأطباق

حماما ..

حماما ..

مفغورة الأفواه والأحداق !!

- ٢ -

أحفظ رأسي في الخزائن الحديدية

وعندما أبدأ رحلتى النهارية

أحمل فى مكانها .. مذابحا !

(أنشر حولى البيانات الحماسية .. والصداعا)

وبعد أن أعود فى ختام جولتى المسائية

أحمل فى مكان رأسى الحقيقة :

.. فتينة الخمر الزجاجية !

- ٣ -

أعود مخموراً إلى بيتى ..

فى الليل الأخير

يوقفتى الشرطى فى الشارع .. للشبهة

يوقفتى .. برهة !

وبعد أن أرسوهُ .. أواصل المسير !

...
توقفتى المرأة ..

فى استادها المثير

على عمود الضوء :

(كانت مصلقات الفتح ، و الجبهة ..)

تملاً خلف ظهرها العمودا !)

١٩٨

تسألنى لفافة :

(لم يترك الشرطى ..)

واحدة من تبغها اللبلى

تسألنى إن كنت أمضى ليلتى .. وحيدا

وعندما أرفع وجهى نحوها ::

سعيدا

بصر خلف ظهرها : شهيدا

معلقا على الحائط ، ناصع الجبهة

تغوص عيناه .. كنصلى رصاصتين

صرخ من رهافة الحدين

.. أمضى بلا وجهة !!

- ٤ -

وجأتى الخريف فى نيسان

وطائر السمّان ..

حطّ على شواطئ البحر الشمالية

صبّت من تحبّه نفسى .. قبيل النوم

سم أجذ .. إلا عذاب الصوم

طلبتُ من شجبه نفسي
(في الظل والشمس)
فلم أجد .. نفسي !!
... ..

وها أنا خلف النوافذ الزجاجية
أرقبُ عند المغرب الشاحب :
طائرَي الغائب !

(١٩٦٩)

الحداد يليق بقطر الندى

جوقة :

قطرُ الندى .. يا خال
مهرُ بلا خيال

... ..

قطرُ الندى .. يا عين
أميرة الوجهين

... ..

صوت :

كان (حماروبه) راقداً على بحيرة الزئبق
وكانت المغنيات والبنات الحور
يطأن فوق المسك والكافور .
والفقراء وال دراويش أمام قصره المعلق
ينتظرون الذهب المبدور
ينتظرون حفنة صغيرة .. من نور .

جوقة :

قطر الندى .. يا عين

أميرة الوجهين

..

قطر الندى ..

قطر الندى ..

(استمرار) :

تعب في سيناء

تعب في مضارب البدو ، وفي نضوب الماء

عند انتصاف الصيف .

تحلم بالوصول للأردن ..

ترخي أعتة الخيول حول مائه ..

تغسل وجه الحزن

جوقة :

قطر الندى .. يا مصر

قطر الندى في الأسر

قطر الندى ..

قطر الندى ..

لصوت والجوقة :

.. كان (حماروبه) راقداً على بحيرة الزئبق

في نومة القيلولة .

فمن ترى ينقذ هذه الأميرة المغلولة ؟

من يا ترى ينقذها ؟

صوت :

هودجها يخترق الصحراء

تسبقه الأنبياء .

أمامها الفرسان ألف ألف

وخلفها الخصيآن ألف ألف

تعب في سيناء ..

جوقة :

قطر الندى .. يا ليل

تسقط تحت الخيل

..

قطر الندى .. يا مصر

قطر الندى في الأسر

..

من يأتري ينقذها ؟

بالسيف ..

أو .. بالحيلة ؟!

صفحات من كتاب الصيف والشتاء

١ - حمامة

(١٩٦٩)

حين سَرَّتْ في الشارع الضوضاء
واندفعت سيارة مجنونة السائق
تطلق صوت بُوقها الزاعق
في كبد الأشياء :
تَفَزَعَتْ حمامة بيضاء
(كانت على تمثال نهضة مصر ..
تَحْلُمُ في استرخاء)

..

طارث ، وحطت فوق قبة الجامعة النحاس
لاهنة ، تلتقط الأنفاس
وفجأة : دندنت الساعة
ودقت الأجراس
فحلقت في الأفق .. مُرتاعة !

..

أيتها الحمامة التي استقرت

فوق رأس الجسر
(وعندما أدار شرطى المرور يده ..

ظنته ناظراً .. يصد الطير

فامتلأت رعباً !)

أيتها الحمامة النعبي :

ثورى على قباب هذه المدينة الحزينة

وأنشدى للموت فيها .. والأسى .. والذعر

حتى نرى عند قلوب الفجر

جناح الملقى ..

على قاعدة التمثال في المدينة

.. وتعرفين راحة السكينة !

٢ - ساق صناعية

في الفندق الذي نزلت فيه قبل عام

شاركني الغرفة

فأغلق الشرفة

وعلق (السترة) فوق المشجب المقام

وعندما رأى كتاب (الحرب والسلام)

بين يدي : أريد وجهه ..

ورق جفنه .. رقة

فغالب الرجفة

وقص عن صبيّة طارحها الغرام

وكان عائداً من الحرب .. بلا وسام

فلم تُطلق .. ضعفة

ولم يجذ — حين صحا — إلا بقايا الخمر والطعام !

..

ثم روى حكاية عن الدم الحرام

(.. الصحراء لم تُطلق رشفة ..

فظل فيها ، يشتكى رسعه صيفة ..)

وظل يروي القصص الحزينة الختام

حتى تلاشى وجهه

في سحب الدخان والكلام

وعندما تشرج الصوت به ، وطالت الوقفة

أدرك رأسي عنه ..

حتى لا أرى دمعته العفة

ومن خلايا جسدي : تفصد الحزن ..

وبلّ المسام

.. ..

وحين ظنّ أنني أنام

رأيت يخلع ساقه الصناعية في الظلام

مُصعّداً تنبيده ..

قد أحرقت جوفه

٣ - شتاء عاصف

كان (ترام الرنل) ..

متبعجا ، كامراة في أخريات الحمل

وكنث ..

أرى شتاء (الفضب الساطع)

يكسح الأوراق والمعاطفا

وكانت الأحجار قد سكونها الناصع

مفسولة بالقطر الذي توقفا

وكان في المذباغ

أغنية حزينة الإيقاع

عن (طالع لاقيت منه ما كفى ..)

قد (علموه كيف يجفون .. فجفا)

جلست فوق الشاطئ العابس

وكان موج البحر

يصفع خد الصخر

وينطوى — حيناً — أمام وجهه العابس .

.. وترجع الأمواج

تنطحه برأسها المهتاج

ودون أن تكف عن صراعها اليأس .. !

ودون أن تكف عن صراعها اليأس .. !

مارس ١٩٦٩

تعليق على ما حدث في مخيم الوحدات

- ١ -

قلت لكم مرارا

إن الطواير التي تمر ..

في استعراض عيد الفطر والجلاء .

(فتتفحص النساء في النوافذ انبهارا)

لا تصنع انتصارا .

إن المدافع التي تصطف على الحدود ، في الصحارى

لا تطلق النيران .. إلا حين تستدير للوراء .

إن الرصاصات التي ندفع فيها .. ثمن الكسرة والدواء :

لا تقتل الأعداء

لكنها تقتلنا .. إذا رفعنا صوتنا جهارا

تقتلنا ، وتقتل الصغار !

- ٢ -

قلت لكم في السنة البعيدة

٢١٠

عن نَحْطِ الجندى

عن قلبه الأعمى ، وعن همته القعيدة

بحرس من يمنحه راتبه الشهري

وزيه الرسمي

يزهب الخصوم بالجمعية الجوفاء

والقعقة الشديدة

كنه .. إن يحزن الموت ..

فداء الوطن المقهور والعقيدة :

فر من الميدان

وحاصر السلطان

واغتصب الكرسي

وأعلن « الثورة » في المذيع والجريدة !

- ٣ -

قلت لكم كثيرا

إن كان لابد من هذه الذرية اللعينة

سيسكنوا الخنادق الحصينة

متخذين من مخافر الحدود .. دورا

و دخل الواحد منهم هذه المدينة :

٢١١

يدخلها .. حميرا

يلقى سلاحه .. على أبوابها الأمتنة

لأنه... لا يستقيم مَرَحُ الطفل ..

وحكمة الأب الرزينة

مع المُسَدِّس المدلَّى من حزام الخصر ..

في السُّوقِ ..

وفي مجالس الشورى

• • •

قلتُ لكم ..

لكنكم ..

لم تسمعوا هذا العبث

ففاضت النارُ على الخيَّمات

وفاضت .. الجثث !

وفاضت الحُوداثُ والمدرَّعات

(سبتمبر ١٩٧٠)

مئة عصرية

- ١ -

فتح المذباغ .. واستلقى !

وكان القدحُ الساخن ..

في وحدته المستفرقة .

(.. يدخل الطيف الذي يهبط .. بغتة

يسكتُ المذباغ .. سكنة ...)

— (موجز الانباء) ..

.. ألفت يده السيجارة المحترقة

صرَّت النافذة المنغلقة

..

(.. يعبر الغرفة :

فوق الحائط الأزرق .. صورة

ظَلَّ يَجْلُو تحتها خنجره .. مبتسما)

..

مَدَّ ساقيه ،

وكان الرعبُ في عينيه ..

صار الصوتُ والموتُ

عدواً واحداً

منقسماً !

• • •

ظل في مقعده ..

سار الترام

وهو في مقعده ..

كلتُ هذا بائعةَ الخبز الصغيرةَ

وهو في مقعده ..

كفّ فحيح الصمت في المذياع ،

وانساب « السلام »

وهو في مقعده ..

— (موجز أنباء الصباح)

وهو في مقعده ..

.. .. .

في يده سيجارة ملتصقة

وعلى الجانيط .. صورة ١١

— من ذلك الهائم في البرية ؟

ينام تحت الشجر الملتف والقناطر الخيرية ؟

— مولاي : هذا النيل ..

نيلنا القديم !

— أين تُرى يعمل .. أو يقيم ؟

— مولاي :

كنا صبيّة نندس في ثيابه الصيفية

فكيف لا نذكره ؟

وهو الذي يُذكر في المذياع والقصائد الشعرية ؟

— هل كان قائداً ؟

— مولاي : ليس قائداً .

لكننا السباح في مطالع الأعوام

يأتون كي يروه ..

— آه .. ويصوّرونه لكي يُشهرُوا بنا

بوجهه الباكي .. وكوفيته القطنية

.. تعال كي نودعه في ملجأ الأيتام .

— مولاي :

هكذا تحب الصبايا .. والرعاة .. والأغنام

وَأُمُّ كَلْتُومٍ تَغْنَى لَهُ ..
فِي وَصَلَتِهَا الشَّهْرِيَّةُ !
— النَّيْلُ !

أَيْنَ يَا تُرَى سَمِعْتُ عَنْهُ قَبْلَ الْيَوْمِ ؟
أَلَيْسَ ذَلِكَ الَّذِي ..

كَانَ يَضَاجِعُ الْعَذَارَى ؟
وَيَحِبُّ الدَّمَ ؟

— مَوْلَايَ : قَدْ تَسَاقَطَتِ أَسْنَانُهُ فِي الْفَمِ
وَلَمْ يُعْذِرْ يَقْوَى عَلَى الْحَبِّ .. أَوِ الْفُرُوسِيَّةِ
— لَا يَدُ أَنْ يَبْرُزَ لِي أَوْرَاقَهُ الشَّخْصِيَّةِ
فَهُوَ صَمُوتٌ !
يَصَادِقُ الرَّعَاغَ ..

يَهْطُ الْقُرَى ..
وَيَدْخُلُ الْبُيُوتَ ..

وَيَعْمَلُ الْعِشَاقَ فِي الزَّوَارِقِ اللَّيْلِيَّةِ

— مَوْلَايَ ؟ هَذَا النَّيْلُ .. !!
— لَا شَأْنَ لِي بِتَيْلُكَ الْمُشْرِدِّ الْمَجْهُولِ
أُرِيدُ أَنْ يَبْرُزَ لِي أَوْرَاقُهُ الرَّسْمِيَّةِ :

شَهَادَةُ الْمِيلَادِ .. وَالتَّطْعِيمِ .. وَالتَّاجِيلِ
وَالْمَوْطِنِ الْأَصْلِيِّ .. وَالْجِنْسِيَّةِ
.. حَتَّى يُمَارَسَ الْحُرِّيَّةُ !

— ٣ —

.. وَيُلْقِي الْمَعْلَمُ مَقْطُوعَةَ الدَّرْسِ ،
فِي نِصْفِ سَاعَةٍ :

(سَتَبْقَى السَّنَابِلُ ..

وَتَبْقَى الْبِلَابِلُ ..

تَغْرُدُ فِي أَرْضِنَا .. فِي وَدَاعَةٍ ..)

وَيَكْتُبُ كُلُّ الصِّغَارِ بِصَدَقٍ وَطَاعَةٍ :

(سَتَبْقَى الْقَنَابِلُ ..

وَتَبْقَى الرِّسَائِلُ ..

تُبْلَغُهَا أَهْلُنَا .. فِي بَرِيدِ الْإِذَاعَةِ)

(١٩٧٠)

• • •

يهتز قرطها الطويل ..

يراقص ارتعاش ظله ..

على ثلقات العنق الجميل
وعندما تلفظ بذر الفاكهة

وتطفئ التبغ في المنقضة العتيقة الطراز

تقول عنها : استرح !

والشفتان .. شوكتان !!

• • •

(تبقي أنت : شبحاً يفصل بين الأخوين

وعندما يفور كأس الجعة المملوء ..

في يد الكبير :

يقتل المقتول مرتين !

أتأذنين لي بمعطفي

أخفي به ..

عورة هذا القبر الفارق في البحيرة

عورة هذا المتسول الأمير

الوقوف على قدم واحدة !

كادت تقول لي « من أنت ؟ »

.. .. .

(.. العقرب الأسود كان يلدغ الشمس ..

وعيناها الشهيان تلمعان !)

— آنت ؟ !

لكنى رددت باب وجهي .. واستكنث

(.. عرفت أنها ..

تنسى حزام خصرها .

في العراب الفارهة !

• • •

أسقط في أنياب اللحظات الدنسة

أتشاغل بالرشقة من كوب الصمت المكسور

بمطاردة قرأش الوهم الخمور

أتلاشى في الخيط الواهن :

ما بين شروخ الخنجر .. والرقبة

ما بين القدم العارية وبين الصحراء الملتبة

وهو يحاور الظلال من شجيرة إلى شجيرة
بطالع الكف لعصفور مكسر الساقين
يلقط حبة العينين
لأنه صدق — ذات ليلة مضت —
عطاء فملك الصغير ..
عطاء حُلمك القصير ..

رَبَاب

- ١ -

حلسنا الأولى : وعيناك المليتان بالفضول ..
تتشان عن بداية الحديث ،
وابتسامة خجول ..
في شفئك العذبتين ، وارتباكنا يطول ..
في لحظات الصمت والظلم .
نرت فوق مسند المقعد
قلت ما يقال عن رداءة الطقس ،
تسمرت عيناي في استدارة الياقة
في معطفك الجميل .
كان صوتك المني يتحسس الطريق في شراييني ،
ويمسح الصدا
يكنت ألوي في رباط عنقي ،
أربت ظهر قلقي ،
أمسح خيط القرق الضئيل .
مر : شرعاً في زجاج الباب ،

بون الزخرف المنقوش في مفارش الموائد ،
الوردة .. وهى تنحنى في الكوب ..
شفها الذبول .

..
ليلتها : عينيك هاتان المليتان بالفضول
طاردتان لحظةً بلحظةً ..

في دوران السلم الطويل
وفي سريري ظلنا تغنيان آخر الليل
وحين ضاق الصدر بالحنين .. وامتلاً
رفرفنا حولي

فقلت .. قلت لهما كل الذى أردت أن أقول ..
(.. كنا جارين طويلاً ..)

وخليج عيون خضر ترسو فيه
أشعره الشوق
قلبي ما كاد يشب عن الطوق
حتى أبهر في عينها الواسعتين ..
برحلته الأولى

.. لكنى أشهدا - الليلة - تنكئ علي ..

كما كانت تنكئ علي !
نكت في إصبعها خاتم الذهبى
تر على جبينه بأناملها الرخصة .

..
تهجرني الأحزان ؟

أشهد فانتى تستدق ..
في أحضان القرصان ؟)

- ٢ -

وجهلك المضيء .. يا رهاب
مستطيل النور عندما يشع ..

في انفراج باب
ومج اللقافة الأخيرة

سعة المناقض المروقة

سات اللوحة المعلقة

نورة الفَراش في السقف ،

وفي انغلاق الكتاب

نيران الثلج في الأكواب

في رئة الملاعق الصغيرة
في صمته المذيع برهة قصيرة
في ثنيات الظل في الثياب
في غيش النوافذ الصامت ..
بعد أن ينقشع الضباب .

• • •

(.. بالريح المقهورة
بالأمكنة المهجورة
بسنى الحب الغارب
بالقمر الشاحب
وبأعوامى الستة عشر
وبخصلة شقر :
أقسم ألا يسقط قلبى في ..
شرك الهذب الأسود .
ألا أفتح — يوماً هذا الباب الموصد !)
- ٣ -

كيف ضعفت في نهاية المطاف ؟

وارنحت في عينيك من عبثى ؟
وكل شيء حولنا يُملئ علينا أن نخاف ؟!
.. لكننى أنزع قلبى من نعومة البدء
ومن ليونة الدفء ..
وأحتسى — كالسلفاة — بالغلاف !!

فصل من قصة حب

ما حقيقة مدلاة ، وشعر عَجْرى !
(عرفت عنها القصص الكثيرة :
على أريكة القطار ..
ضاجعها اثنان ،
وخلف سائر الغارات في الميدان .. في الظهيرة .
.. وضاجعتها امرأة على البلاج الذهبى
وجسمها الخارج من محارة البحر ..
منذئذ باللاء الصغيرة !)

• • •

حين التقينا : لم تسل من أنت ..
أو من أين ؟!
وقبلتني خلصة ونحن في المترو ..

مُحاصِرَتْنِ .. واقفين !

وقبلتى وأنا أخرج مفتاحى ..

أمام غرفتى الفقيرة !

وقبلتى .. حالما أغلقت الباب وراء ظهرها ..

لامعة العينين !!

• • •

لا نهدها (اليمامة التى تهم بانطلاقها)

ولا انحسار الثوب فوق ساقها

هو الذى حاصرتنى فى الجسد — الجزيرة .

لكنه .. شئ بها .. كأنه اليتيم ..

كأنه الفرار ..

يلذوب ما بين ذراعى : فتهدأ السريرة

وتلتوى الأنامل البيضاء حول كَتفى ..

كأنما نحن : الفريق .. والحطام الحشيشى !

تمسك لى ..

فى لحظة احتراقها ..

فى لحظة التخلّى عن عناقها !

تمسك لى ..

حتى مع استرخاءة النوم القصيرة

إذا انفلت من يديها

وهى فى استغراقها !!

وصار بيتى بيتنا معاً ، وصار ..

أرجوحة وثيرة .

وصارت الألفه ثوباً واحداً

نلبسه تحت جلودنا

فلا يبلى ..

ولا يلحقه الغبار !

عارية — إلا من الحب — تروح ونجىء

يأتى غناؤها بصوتها الدافئ

وهى ترش الماء فى الحمام ،

أو .. جالسة على الأريكة الأثيرة

وهى تُسوى شعرها ،

أو .. وهى عند النار

تُعِدُّ فيها قهوة الإفطار

أو .. تمنح الرونق للأشياء

فى لمستها الخبيرة

تكوى المناديل الحريئة .. والتثورة

أو تمسح الغبار حول صورة !

الهجرة الى الداخل

أترك كل شيء في مكانه :
 الكتاب ، والقبلة الموقوتة
 وقدح القهوة ساخناً ،
 وصيدلية المنزل ،
 واسطوانة الغناء .
 والباب مفتوح الفم ،
 .. الباب .. وعين القطعة الياقوتة .
 أترك كل شيء في مكانه ،
 وأعبر الشوارع الضوضاء
 مخلفاً خلفي : زحام السوق ..
 والنافورة الحمراء ..
 والهياكل الصخرية المنحوتة
 أخرج للصحراء !
 أصبح كلباً دامى الخالب
 أنبش حتى أجذ الجنة ،

وها أنا بعد رحيلها المفاجيء
 أعمى بلا بصيرة .
 فتشت عنها كل حانات المدينة الكبيرة
 وغرف الطلاب ..
 والمستشفيات ..
 والملاجيء ..
 لكنني لم أر غير الوحشة المريرة
 وذكرياتها المنثورة
 في البيت ، في مكانها ..
 تنتظر اليد الأميرة
 تنتظر الخيط .. الذي ينظم اللآلئ .

• • •

— كأسك !
 — حان موعد الاغلاق .
 — لم تبق الا قطرة أخيرة .
 — كأسك !
 .. لن تعيدها الأشواق !!

حتى أقضم الموت الذى يدنس التراب !
أدسُ فى الحفرة وجهى الشرة المحموم
تصبح بوقاً مصمتاً حول فمى المنكفىء المزموم
وصارخاً فى رجم الأرض ..
أصيحُ : يا بساطَ البلد المهزوم ..
لا تسحب من تحت أقدامى ..
فتسقط الأشياء ..

من رفها الساكن فى خزانة التاريخ ،
تسقط المسميات والأسماء !
أصرخ .. ليس يصل الصوت
أصرخ .. لا يجيب إلا عرق التربة والسكون والموت
ويستدير حول رأسى الطنين ،
ويلوم الهواء
أسقط واقفاً ..

وخائفاً .
أن يحمل الصدى ندائى للهوائيات ..
فوق أسطح البيوت
أن تفتق الرمال صوتى المضىء ،

صوتى المكبوت !
أبكى إلى أن يستدير الدمع فى الحفرة
أبكى .. إلى أن تهدأ الثورة
أبكى إلى أن ترسخ الحروف فى ذاكرة التراب
أعود ضالاً ..

أتبع الأسلاك ، والدم الركام ،
والدم المنساب
أبحث عن مدينتى التى هجرتها ..
فلا أراها !

أبحث عن مدينتى :

يا لرم العماذ

يا لرم العماذ

يا بلد الأوغاد والأعماذ

رُدّى لى : صفحة الكتاب

وقدح القهوة .. واضطجعتى الحميمة

فترجع الصدى ..

كأنه اسطوانة قديمة :

يا لرم العماذ

يا لرم العماذ

رُدِّي إليه : صهوة الجواذ
وَكُنْتُ السحر ..

وبعض الخبز في زوادة السفر
فقلبه الذي انشطّر

يرقد فوق زهرة اللوتس في المنفى ،
بطالع المكتوب
منتظراً حتى يفور الكوب
في يده ،

يدير فوق جسمه رداءه المقلوب
لكي يعود في مواسم الحصاد
أغنية .. أو وَرْدَة
للباحثين عن طريق العودة !

حكاية المدينة الفضية

- ١ -

كنت لا أحمل إلا قلماً بين ضلوعي .
كنت لا أحمل إلا .. قلمي .
في يدي : خمسُ مرايا
تعكس الضوء (الذي يسرى إليها من دمي)
.. طارِقاً بابَ المدينة :
— « افتحوا الباب »

فما ردَّ الحرسُ
— « افتحوا الباب .. أنا أطلب ظلاً .. »
قيل : « كلاً »

..

أمطري بما قبضة الزيد التي تُدعى سُحْبُ
أمطري رغوتك الجوفاء في كوب اللهب
هذه الأسوار ما رَقَّتْ للدقائ الحزينة
وشعاعُ القبة الفضية الملساء يغل ..
في مراياي الثمينة

آه لو أملك سيفاً للصراع

آه لو أملك خمسين ذراع :

لتسلمت — بإيماني المرقلي — مفاتيح المدينة

آه .. لكني بلا حتى .. مؤونة !

• • •

أيها العشب الذي ينضج حُمى

إننى أنشدُ في جنبيك .. حلما

(.. واستكانت شفة الوهج على وجهي طويلا ..)

ربما يُفتح هذا الباب يوما

أيها العشب الذي ينضج حُمى

شمسنا مظفأة العينين .. دوما !

يا طريق التلّ (حيث القبة الملساء تبدو ..

صنماً ضخماً تحدى المستحيلا)

يا طريق التلّ :

ما زالت على جنبيك آلاف النفايات ..

لسكان القباب المصمتة

من قمامات البقايا الميتة

وزجاجات مجوهر فارغة

وكلايب والفة

ورماو ، وورق !

آه .. يا ذكرى الحنين المحترق

آه ، كم كنّا — كما كنت — نرشُ النورَ والشوق النيبلا

وتهدجنا غناء ..

وتهدجنا بكاء ..

وتهدجنا .. فُضولا

ثم .. لم نلقَ من الحبّ عدا : باهاً بخيلا !!

- ٢ -

فرقعتُ في الصمت حولي عجلاتُ المركبة

— « أوقِفِ الخيلَ »

أطلت :

— « من ترى أنت ؟ »

فأومأتُ مجيبا

قالت : « اصعدُ »

— « آو ياذات العيون الطيبة
كل شيء يتنهّد

كل شيء في دمي .. لا يتحدّد
أنا لا أملك حتى كلمات الشكر ..
حتى كلمات الشكر .. ولت !
— « أغريب ؟ »

قلت : ما عدت غريبا

بيتنا كان على ربوة نجمة
كم قرأنا فيه عن سحر لياليك كثيرا
عن جبين يهب العمر تناهيد ورحمة
ورسمنا وجهك المعبود فوق المنزل
وعلى صدر الربيع المقبل
وتمشقناك : حزنا أرجوانيا أميرا
وتمشقناك : شعرا كستائيا غريبا
وتمشقناك : ثوبا جدلته الحور ..

من زهو المطر

وعشقنا فيك : حتى تحفلك المجلوب من وادي القمر !
قالت : « اهدأ ..

سوف تحكي لي هناك .. »

وأشارت نحو قصر القبة المساء ،
ثم استطرذت :

إنه مُلك أُنّى !

عندما كان (سليمان) وليا
لم يكن يملك هذا القصر ذا المليون باب
قيل مكتوب على جدرانه الماسية الزرقاء ..
أحلام شباب

قبل في الساحة نافورة خلد
وعلى الباب نقوش أثرية .
آو .. يا حراسه .. هذا أنا !!
إرفعوا الأيدي وأدوا لي التحية
ارفعوا المزلاج .. فالركب يسير
« يد مولاي » ..

ومدت يها (بدر البدور)

نصعد السلم : يا معراج ما كنت نبيّا !
أنا في البللور حولي في السنة : ألف أنا
فامض يا معراجنا نحو الجنّاح
واعزفي يا جوقة الميلاي لحن الإفتاح !

• • •

ربما تُنفق كلّ العمرِ كي تنقب ثغرة
ليمرّ النور للأجيال .. مرة !

..

ربما لو لم يكن هذا الجدار :
ما عرفنا قيمة الضوء الطليق !!

- ٣ -

شَفَّةٌ ثَلَجِيَّةٌ في جبهتي تسرى .. مُلْحَةٌ
« قد أتى الصبحُ ... فقم »
شدّنى السيافُ من أشهى حُلُمٍ
حاملًا أمر الأميرة

« أنا يا مسرورُ معشوقُ الأميرة
ليلةً واحدةً تُقضى .. بدّم ؟
يا ترى من كان فينا شهريار ؟
أنا يا مسرورُ .. »

(مسرورُ على الباب : رخام)
« أنا يا مسرورُ لم أسعد من الدنيا بفرحة
أنا لم أبلغ سوى عشرين عام

سكرت كاساتنا من خمر بابل
ألف خيط في دمانا .. يستبدّ
« آه يا سيدى : أنتِ مَلَكٌ ..
أنا لأحمل إلا قلمًا بين ضلوعى ..
فخذيه .. إنه أتمن ما عندى .. خذيه »
ومشت راحتها فوق جبينى ،
هتف لى : « شهريار »

« شهرزادى : أسكى شَهْدَ الرحيق المتواصل
ثم قصّى من حكاياكِ الجديدة
من زمانٍ لم أعُد أسمع أشياء جديدة
أرى ..
« ليلك يا مولائى .. قالوا »

..
ثم لم تملك قوّانا
وعلى الجدران لوحات فريدة
لرغيف .. وزجاجات من الخمر .. وراع ..
« قطع !
(آه .. ما أقسى الجدار
عندما ينهض في وجه الشروق !

خذ ثيابى .. خذ مراياى المنيرة ..
— « حسناً ، فاهرب من الباب الذى فى آخر المشى
ولا ترجع هنا »

يا طريق النلِّ حيث القبةُ الملساءُ .. خلفى
حيث مازالت على جنبك آلاف النفايات ..
لسكان المدينة :

الكلابُ الوالغة ..
وزجاجاتُ الخمر الفارغة ..
وأنا .. أحمل أقدامى الحزينة !!

الضحك فى دقيقة الحداد !

.. ووقفنا فى العراء
ببقايا أعْمَدَةٍ .
انتظرنا ان يمرَّ الشعراءُ
ربما يمنحنا دفءَ الغناء
ربما .. ليلة حبِّ واحدة .
وتنصَّتنا لوقع الخطوِّ ، غربلنا الهواءَ
لم يكن إلا .. سكونُ الصحراءِ
وطنينُ الأفئدة !

• • •

عالمٌ تحت الصَّفرِ .. صفَّرَ اليدُ جاءَ
حين كُنا فى ضمير النبلِ روحاً مجهدة .
طَرَّقَ الباب ، ونادى فى حياءِ

فاستدرونا في فراش النوم ،
أَحَكَمْنَا الغطاءَ
وتركناه لهبات الرياح الباردة .

• • •

كنتُ في المقهى ، وكان البيّغاء
يقرأ الأنبياء في فئران حقل القمح ،
فوق القرّة
وهي تجترّ التراجيل ، وترنو للنساء .

.. .. .

(— رفعُ أثمان جميع الأسمدة)

.. .. .

.. النساء القطط — الأفراس — سيمّان العشاء
وعيون الرغبة الفئران تبتل بأصداء المواء .

.. .. .

(— رفع سعر الصوف ..)

.. .. ما من فائدة !

كادت السيارة الحمراء أن تقصم ظهر السيدة
والنساء — القطط — الأزياء يخلعن الرداء

.. .. .

(— نائر يقتل في ظهران بالأمس — رئيس الوزراء)

.. .. .

رقعة الشطرنج : مات الشاه ، دورُ الأبتداء ..
هزم الأبيض فيه أسودّه
حين كنّا في ضمير الليل روحا مجهدة .

.. .. .

تلعق الفئران في الجحر تراب الإشتهاء
وهي تجترّ التراجيل ، وترنو للنساء
النساء — القطط الكسلى ،

.. .. .

.. .. (اشتباك عسكري في المساء)

برهة : ترتفع الأعين عن طاولة الزهر وموسيقى النساء
تبرق النظرة من تحت الجفون الخاملة

.. .. .

(مجلس الأمن يوالى ..)

.. .. يعود الإنحاء

تجلس العينُ على نقش البلاط القرفصاءُ
ثم تنساهُ ، وتطويها فنونُ العربةِ !!
قالَ لي :

« ها هو بهو الأعمدة »

..

من هنا مرَّت خيولُ الخيلاءِ
من هنا مرّت .. فلم يُدفن لها قتلى ،
ولم تُحقن دماء .

حطَّت الحدأةُ فوق المائدةِ
رفع النسرُ عن الشمسِ . يَدُهُ
فهوْثُ ، والأرضُ غطّاها الوباءُ .

..

نقشةُ الجدرانِ في قلبي ،

وفي عيني الرمالُ الراقدةُ

الرمالُ الرابضاتُ — اليومَ — من حول البناءِ
الرمالُ — الندمُ الحارقُ لي — خبِرَ وماء .
يا بقايا المومياءِ :

نحنُ أسبلنا العيونَ الرميّةَ

حينَ أنكرناكِ قبلَ الفجرِ ..

(والفجرُ إلى اللحظةِ لم يأتِ ،)
وجاء ..

بدلاً منه : الوباءُ ،

كلما استشرّفتِ النظرةُ أفقَ النورِ : شَمَّتْ جسدهُ
فراخت .. مُقعّدة ،

وانتظرنا الصيفُ في فصل الشتاءِ

واغتسلنا ننشُدُ البرءَ نهارَ الأربعاءِ

ودعونا اللهَ أن يكشفَ عنا الغُمةَ المتعقّدةَ :

أعطنا ليلةَ حبٍ واحدةِ

أعطنا ليلةَ طهرٍ واحدةِ

أعطنا ليلةَ صدقٍ واحدةِ

وتسَمَّنا صدى الدعوةِ ، غربلنا الهواءَ

لم يكنِ إلا .. الوباءُ

جَرَباً تحت الجلودِ :

الظفرُ لا يجدى ..

ولا يجدى الدواءُ !

جَرَبَ أوغَلَ . حتى الأفتدةُ !!

° ° °

ووقفنا في العراء

ببقايا أغمدة ..

وتلفتنا ، فأبصرنا عظام الشهداء

تتلوى في رمال الصحراء

تقصد النيل .. لكي يمنحها جرعة ماء

فسقاها .. كمّذه !

ورأينا في مرايا مائه أوجهنا ..

كنا عراة تعساء

خلفنا يصطلك باب المصيدة .

.. والشفاه المرغيات المزبدة .

تبارى في الهتافات ،

تدق المنضدة

ثم تنسل إذا انفض البكاء

تتلهى بالصدور الناهدة

في حوائث الشواء ،

.. .. .

.. .. .

يا عصافير الشتاء :

لا تلوميني .. إذا الطوفانُ جاء

.. .. .

(١٩٦٩)

(بيان)

أيها السادة : لم يبقَ اختيارٌ
سقط المهرُ من الإعياء ،
وانغلت سبورُ القرية
ضاقَت الدائرةُ السوداءُ حول الرقبة
صدرنا يلمسه السيف ،
وفي الظهر : الجدار !

..

أيها السادة : لم يبقَ انتظارٌ
قد منعنا جزية الصمت لمملوكٍ وغنْدٍ
وقطعنا شعرة الوالى « ابن هند »
ليس ما نخسره الآن ..

سوى الرحلة من مقهى إلى مقهى ..
ومن عابٍ .. لعابٍ !!

على محطات القُرى ..

ترسو قطاراتُ السهادِ
فتتطوى أجنحةُ الغبار في استرخاءةِ الدُّنُو
والنسوةُ المتشحاتُ بالسوادِ
تحت المصابيح ، على أرصفةِ الرسوِ
ذابت عيونهن في التحديقِ والرُّنُو
علَّ وجوه الغائبين منذ أعوام الخداذِ
تشرقُ من دائرةِ الأحزانِ والسلُو

..

ينتظرون .. حتى تتآكلَ العيونُ
تتآكلُ الليالى ،
تتآكلُ القطاراتُ من الرواج والغدوِ
والغائبون في ترابِ الوطن — العدوِ
لا يرجعون للبلاد ..
لا يخلعون معطفَ الوحشة عن مناكِبِ الأعياد !

سرحان يا سرحان
والصمت قد هلك
حتى متى وحلك
يخفرك السجن ؟

.. ..
نقتل ، أو نُقتل
هذا الخيار الصعب
وشلنا بالربع ..
تردد العزل

.. ..
في البيت ، في الميدان
نقتل يا سرحان !

أنخره الشاى تدور فى الفناجين ، ونشرتب
يلتم شمل العائلة
.. إلا الذى فى الصحراء القاحلة

نافورة حمراء .
طفل يبيع الفل بين العربات .
مقتولة تنتظر السيارة البيضاء .
كلب يحك أنفه على عمود النور .
مقهى ، ومذايغ ، وتردد صاحب ، وطاولات .
ألوية ملوئة الأعناق فوق الساريات .
أندية ليلية .
كتابة ضوئية .
الصحف الدامية العنوان .. يبيض الصفحات .
حوائط ، وملصقات ..
تدعو لرؤية (الأب الجالس فوق الشجرة)
والثورة المنتصرة !
إيقاعات :

يرقد في أمعاء طائر وذئب

(يهبط من صورته المقابلة

يلتف حول رأسه الدامي شريط الحزن

يجلس قرب الركن

يضغى إلى ثرثرة الأفواه والملاعق المبتدلة

ينشق في وقفته .. نصفين

يصب في منتصف الفنجان .. قطرتين
من دمه ،

ينكسر الفنجان .. شظيتين)

ينكسر النسيان

وهو يعود باكياً إلى إطار الصورة المجللة

بآية القرآن !

.. ..
الدم في الوسائد

بلونه الداكن

واللبن الساخن

تبعه الجرائد

.. ..

اللبن الفاسد

اللبن الفاسد

اللبن الفاسد

يخفى الدم — الشاهد

- ٤ -

أموت في الفراش .. مثلما تموت العير ،

أموت ، والنفير ..

يدق في دمشق ..

أموت في الشارع : في العطور والأزياء

أموت ، والأعداء ..

تدوس وجه الحق .

إيقاعات :

الدم قبل النوم

نلبسه .. رداء

والدم صار ماء

يراق كل يوم

« وما يجسمى موضع إلا وفيه طعنة برمخ »
.. إلا وفيه جرح ،
إذن .

« فلا نامت عيون الجبناء »

لا وقت للبكاء

لا وقت للبكاء .

فالعَلَمُ الذى تنكسيتُهُ .. على سراقِ العزاء
مُنكسٌ فى الشاطئ الآخر ،
والأبناء ..

يُسْتَشْهِدُونَ كى يقيموه .. على « ثبة » ،
العَلَمُ المنسوج من حلاوة النصر ومن مرارة النكبة
خيوطاً من الحب .. وخيوطين من الدماء
العَلَمُ المنسوج من خيام اللاجئين للعزاء
ومن مناديل وداع الأمهات للجنود :
فى الشاطئ الآخر ..

مُلْقَى فى الثرى ..

ينهش فيه الدود ،

ينهش فيه الدود .. واليهود

فانخلعى من قلبك المفتود

مقاتلين .. فمقاتلين .. في الحَلَبَةِ .

• • •

الشمسُ (هذه التي تأتي من الشرق بلا استحياء)
كيف تُرى تمرُّ فوق الضفة الأخرى ..
ولا تحيُّ مُطْفَأَه ؟
والنسمَةُ التي تمرُّ في هُبُوبها على خِيَمِ الأعداء
كيف تُرى تُشْمُها .. فلا تسدُّ الأنف ؟
أو تحترق الرقَّة ؟
وهذه الخرائطُ التي صارت بها سيناء
عِبْرِيَّةُ الأسماء
كيف نراها .. دون أن يصيبنا العمى ؟
والعارُ .. من أُمَّتِنا السُجْرَاءُ ؟
.. والطفلةُ الصغيرةُ العذبة
تُطلقُ — فوقَ البيتِ — طيارتها البيضاء
كيف تُرى تكُتِبُ في كَرَّاسَةِ الإنشاء
عن بيتها المهْدومِ فوق الأب .. واللعبة ؟
وأُمِّي التي تظلُّ في فناء البيت مُنْكَبَةً

فها على أبوابك السبعة ، يا طيبة ..
باطِئَةَ الأسماء :

يُقَعَى أبو الهول ،
وتُقَعَى أُمَّهُ الأعداء
مجنونة الأنثى والرغبة ..
تشربُ من دمائِ ابنائكِ قربةً .. قربةً
تفرشُ أطفالك في الأرضِ بساطاً ..
للمدرَّعاتِ والأحذية الصلبة
وأنتِ تبكين على الأبناء ،
تبكين ؟
يا ساقيةً دائرةً ينكسر الحنينُ ..
في قلبها ، وتلكِ الجارى على خُذِّ التجويع
يجرى دموع
ضفافه : الأحزانُ والغربة ،
تبكين ؟ مَنْ تبكين ؟
وأنتِ طولَ العمر — تشقين ، وتحصدين ..
مرارة الخيبة
وأنتِ — طولَ العمر — تبقين ، وتنجين ..

مفروحة العينين ، مسترسلة الرثاء
تنكث بالعود على التربة :

رأيتها : الخنساء

ترثى شبابها المستشهدين في الصحراء .

رأيتها : أسماء

نكى ابنها المقتول في الكعبة ،

رأيتها : شجرة الدر ..

ترد خلعها الباب على حثان (نجم الدين)

تغلق صدرها على الطعنة والسكين

فالجند في الدنا

ليس لهم أن ينظروا إلى وراء

أو يدفنوا الموتى

إلا صيحة الغد المنتصر المينون

.. .. .

(.. والتين والزيتون

وطور سينين ، وهذا البلد المحزون

لقد رأيتُ يومها : سفائن الإفرنج

تغوص تحت الموج .

وملك الإفرنج

يفوص تحت السرج .

وراية الإفرنج

تغوص ، والأقدام تفرى وجهها المموج ،

.. وها أنا — الآن — أرى في غدك المكنون :

صيفاً كثيف الوهج

ومُدناً ترتج

وسفناً لم تتج

ونجمة تسقط — فوق حائط المبكى — إلى الـ

وراية (العقاب)

ساطعة في الأوج ..

• • •

والتين والزيتون

وطور سينين ، وهذا البلد المحزون

لقد رأيتُ ليلة الثامن والعشرين ..

من سبتمبر الحزين :

رأيت في هتاف شعبي اجريح
 (رأيت خلف الصورة)
 وجهك .. يا منصوره ،
 وجه لويس التاسع المأسور في يدى صبيح

رأيت في صبيحة الأول من تشرين
 جندك .. يا حطين
 يكون ،

لا يدرون ..
 أن كل واحد من الماشين
 فيه .. صلاح الدين !

(٢٨ سبتمبر ١٩٧٠)

العهد الأيت

وقال الرب الاله هو ذا الانسان قد صار كواحد صًا عاره
الخير والشر .

المهد القديم

تك ٣ : ٢٢

مملكتي ليست من هذا العالم . لو كانت مملكتي من هذا العالم ،
لكان خدامي يجاهدون لكي لا أسلم إلى اليهود .

المهد الجديد

يو ١٨ : ٣٦

أبانا الذى فى المَبَاحِثِ . نحن رعاياكَ . باقٍ
لكَ الجبروتُ . وباقٍ لنا الملكوتُ . وباقٍ لمن
تَحْرُسُ الرَّهْبُوتُ .

• • •

تفرَّدتَ وحدكَ باليسرِ . إن اليمينَ لفى الخُسْرِ .
أما اليسارُ ففى العُسْرِ . إلا . الذين يُمَاشُونَ .
إلا الذين يَمِيشُونَ يَمُخِشُونَ بالصَّحِيفِ المُشْتَرَاةِ
العيونَ .. فَيَمُخِشُونَ . إلا الذين يَمُشُونَ . وإلا
الذين يُوشُونَ يَاقَاتِ قَمِصَانِهِمْ بِرِبَاطِ السَّكُوتِ !
تعاليتَ . ماذا يَهْمُكَ ممن يذُمُّكَ ؟ اليومَ يومَكَ
يرقُ السَّجِينُ إِلَى سُدَّةِ العَرْشِ ..
والعَرْشُ يَصْبَحُ سَجَنًا جَدِيدًا وَأَنْتَ مَكَانَكَ . قد

يَتَبَدَّلُ رَسْمُكَ وَاسْمُكَ . لَكِنْ جَوْهَرُكَ الْفَرْدُ
لَا يَتَحَوَّلُ . الصَّمْتُ وَخَمْلُكَ . وَالصَّمْتُ وَثَنٌ
وَالصَّمْتُ — حَيْثُ التَّفَتُّ — يَرِينُ وَيَسْمُكُ
بَيْنَ خِيوطِ يَدَيْكَ الْمَشْبُكَتَيْنِ الْمَصْمُغَتَيْنِ يَلْفُ
الْفَرَاشَةَ .. وَالْعَنْكَبُوتُ .

• • •

أَبَانَا الَّذِي فِي الْمُبَاحِثِ . كَيْفَ تَمُوتُ .
وَأَغْنِيَةُ الثَّوْرَةِ الْأَهْدِيَّةِ
لَيْسَتْ تَمُوتُ ؟!

سفر التكوين

(الاصحاح الأول)

فِي الْبَدْءِ كُنْتُ رَجُلًا .. وَامْرَأَةً .. وَشَجَرَةً .
كُنْتُ أَبًا .. وَابْنًا .. وَرُوحًا قُدُّوسًا .
كُنْتُ الصَّبَاحَ .. وَالْمَسَاءَ ..
وَالْحَدِيقَةَ الثَّابِتَةَ الْمُتَوَرِّدَةَ .
وَكُنْتُ عَرْشِي حَجَرًا عَلَى ضَفَافِ النَّهْرِ
وَكُنْتُ الشَّيْءَ ..
تَرَعِي ؟ وَكَانَ النَّحْلُ حَوْلَ الزُّهْرِ ..
يَطْلُقُ ؛ وَالْإِوْرُ يُطْفِئُ فِي بَحِيرَةِ السَّكُونِ ،
وَالْحَيَاةَ ..
تَنْبُضُ — كَالطَّاحُونَةِ الْبَعِيدَةِ !
حِينَ رَأَيْتُ أَنَّ كُلَّ مَا أَرَاهُ
لَا يَنْقُذُ الْقَلْبَ مِنَ الْمَلَلِ !

(مبارزات الديكة)

كانت هي التسليّة الوحيدة

فدّ جلستى الوحيدة

بين غصون الشجر المشبّكة !

(الاصحاح التالي)

قلت لنفسي : لو نزلت الماء .. واغتسلت .. لانقمت

(لو انقمت .. لازدوجت .. وابتسمت)

وبعدما استحمت ..

تناسخ الزهر وشاحاً من حرارة الشفاة

لَفَفْتُ فيه جسدى المصطك .

(وكان عرشي طافياً .. كالمُلك)

ورفّ عصفور على رأسي ؛ وحطّ بفيض البَلل

حدّقت في قرارة المياه

حدّقت ؛ كان ماأراه

وجسى .. مكنّلاً بناج الشوك !

(الاصحاح الثالث)

قلت : فليكن الحب في الأرض ، لكنه لم يكن !

قلت : فليذب النهر في البحر ، والبحر في السحب ،

والسحب في الجذب ، والجذب في الخصب ، ينبت

خبزاً ليسند قلب الجياح ، وعشباً لماشية

الأرض ، ظلّاً لمن يتغرّب في صحراء الشجن .

ورأيت ابن آدم — ينصب أسواره حول مزرعة

الله ، يتناغ من حوله حرساً ، ويبيع لإخوته

الحيز والماء ، يحتلب البقرات العجاف لتعطى اللبن .

قلت فليكن الحب في الأرض ، لكنه لم يكن .

أصبح الحب ملكاً لمن يملكون الثمن .

... ..

ورأى الرب ذلك غير حسن !

• • •

قلت : فليكن العدل في الأرض ؛ عين بعين وسن بسن .

قلت : هل يأكل الذئب ذبياً ، أو الشاة شاة ؟

ولا تضع السيف في عنق اثنين : طفل .. وشيخ مُ

ورأيت ابن آدم يزدي ابن آدم ، يشعل في
المدن النار ، يغرس خنجره في بطون الحوامل ،
يلقي أصابع أطفاله عنفاً للخيول ، يقصُ الشفاة
وروداً تزيّن مائدة النصر .. وهي تئن .
أصبح العدل موتاً ، وميزانه البندقية ، أبنائه
صلبوا في الميادين ، أو شتقوا في زوايا المدن .
قلت : فليكن العدل في الأرض ، لكنه لم يكن .
أصبح العدل ملكاً لمن جلسوا فوق عرش الجماهير
بالطبلسان —

الكفن

....
ورأى ربُّ ذلك غير حسن !

• • •

قلت : فليكن العقل في الأرض ، تُصغى إلى صوته المثرن .
قلت : هل يبتني الطير أعشاشه في فم الأفعوان ،
هل الدود يسكن في هب النار ، واليوم هل
يضع الكحل في هدب عينه ، هل يذر الملح

من يرنجي القمح حين يدور الزمن .
ورأيت ابن آدم وهو يُجنُّ ، فيقتلع الشجر المتطاوّل ،
ييصق في البئر ، يلقي على صفحة النهر بالزيت ،
يسكن في البيت ، ثم يُخبيء في أسفل الباب
قنبلة الموت ، يؤوي العقارب في دفء أضلاعِهِ ،
ويورث أبنائه دينه .. واسمه .. وقميص الفتن .
أصبح العقل مغترباً يتسوّل ، يقذفه صبيّة
بالحجارة ، يُوقفه الجنّد عند الحدود ، وتسحب
منه الحكومات جنسيّة الوطنى .. وتُدبرجه في
قوائم من يكرهون الوطن .

قلت : فليكن العقل في الأرض ، لكنه لم يكن .
سقط العقل في دورة الفئ وسحجن .. حتى يُجنّ

....

ورأى الربُّ ذلك غير حسن !

(الاصحاح الرابع)

قلت : فليكن الريح في الأرض ، تكنس هذا القفر
قلت : فليكن الريح والدّم ... تقتلع الريح هسهة

الورق الذابل المُتَشَبِّث ، يندلع الدم حتى
الجنود فيزهرها ويظهرها ، ثم يصعد في
السوق .. والورق المُتَشَابِك . والشعر المُتَدَلَّى ؛
فيعصره العاصرون نبذاً يزغرد في كل دن .
قلت : فليكن الدم نهراً من الشهد ينساب تحت فراديس عند
هذه الأرض حسناء ، زينتها الفقراء ، لهم تَطَطُّبٌ ،
يعطونها الحب ، تعطيهن النسل والكبرياء .
قلت : لا يسكن الأغنياء بها . الأغنياء الذين
يصوغون من غرق الأجراء نُقُودَ زنا .. ولآلئ
تاج . وأقراط عاج .. ومسبحة للرياء .
إننى أول الفقراء الذين يعيشون مُعْتَرِبِينَ ،
يموتون مُحْتَسِبِينَ لدى العزاء .
قلت : فلنكن الأرض لى ... ولهم !
(وأنا بينهم)
حين أخلع عنى ثياب السماء .
فأنا أُنْقَدَسُ — فى صرخة الجوع — فوق الفراش الحثيث !

(الاصحاح الخامس)

حَدَقْتُ فى الصخر ؛ وفى الشبوع
رأيت وجهى فى سمات الجوع !
حدقت فى جبينى المقلوب
رأيتنى : الصليب والمصلوب
صرخت — كنت خارجاً من رَجم الهناء
صرخت ؛ أطلب البراءة
كَيْتُونى : مشنقى
وحبل السرى :
حبلىها
المقطوع !

(الاصحاح الثانى)

دَقَّتْ السَّاعَةُ الْمُتَعَبَةَ

رَفَعَتْ أُمُّهُ الطَّيِّبَةَ

عَيْنَهَا ..

(دَفَعَتْهُ كُعُوبُ الْبِنَادِقِ فِي الْمَرْكَبَةِ !)

... ..

دَقَّتْ السَّاعَةُ الْمُتَعَبَةَ

نَهَضَتْ ؛ تَسَقَّتْ مَكْتَبَهُ ..

(صَفَعَتْهُ يَدٌ ..

— أَذْخَلَتْهُ يَدُ اللَّهِ فِي التَّجَرِبَةِ —)

... ..

دَقَّتْ السَّاعَةُ الْمُتَعَبَةَ

جَلَسَتْ أُمُّهُ ؛ رَأَتْ جُورَبَهُ ..

(وَخَزَنَتْهُ عَيْنُ الْمُحَقِّقِ ..

سفر الخروج

(أغنية الكهنة الحجرية)

(الاصحاح الأول)

أَيُّهَا الْوَاقِفُونَ عَلَى حَافَةِ الْمَذْبَحَةِ

أَشْهِرُوا الْأَسْلِحَةَ !

سَقَطَ الْمَوْتُ ؛ وَانْفَرَطَ الْقَلْبُ كَالْمَسْبُوحَةِ

وَالدَّمُ انْسَابَ فَوْقَ الْوِشَاحِ !

الْمَنَازِلُ أَضْرَحَتْ ،

وَالزَّانَانِ أَضْرَحَتْ ،

وَالْمَدَى .. أَضْرَحَتْ

فَارْفَعُوا الْأَسْلِحَةَ

وَاتَّبِعُونِ !

أَنَا نَدَمُ الْغَدِ وَالْبَارِحَةِ

رَابِتِي ؛ عَظْمَتَانِ .. وَجُمُجُمَةٌ ،

حتى تُفَجَّرَ من جلده الدَّمُ والأجوبة !)

... ..

دقت الساعة المتعبة !

دقت الساعة المتعبة !

(الاصحاح الثالث)

عندما تهبطين على ساحة القوم ؛ لا تُبدئي بالسلام

فهم الآن يفتسيمون صفارك فوق صحاف الطعام

بعد أن أشعلوا النار في العُشِّ ..

والقش ..

والسبلة .

وغداً يذبحونك .. بحثاً عن الكنز في الحوصلة !

وغداً تُقتدى مُدُنُ الأليف عام .

مدناً .. للخيام

مدناً ترتقى دَرَجُ المقصلة !

(الاصحاح الرابع)

دقت الساعة القاسية

وقفوا في ميادينها الجَهْمَةِ الخاوية

واستداروا على دَرَجَاتِ الثُّصْبِ

شجراً من لَهَبٍ

تعصف الريح بين ورُيقاته الغضة الدانية

فَيَنُ : « بلادي .. بلادي »

(بلادي البعيدة !)

... ..

دقت الساعة القاسية

« انظروا » ؛ هتفت غانية

تتمطى بسيارة الرقم الجُمُرُكِيِّ ؛

وتتمت الثانية :

سوف ينصرفون إذا البرْدُ حلَّ .. وَرَانَ التعب

... ..

دقت الساعة القاسية

كان مذياعٌ مقهى يذيع أحاديثه البالية

عن دُعاة الشغب

وهم يستديرون ؛

يشتلون — على الكعكة الحَجَرِيَّة — حول الثُّصْبِ

شمعدان غَضَبٍ

يتوهج في الليل ..
والصوت يكتسح الغنمة الباقية
يتغنى لليلة ميلاد مصر الجديدة !

(الاصحاح الخامس)

أذكرني !
فقد لَوَّتْنِي العناوين في الصُّحُفِ الخائنة !
لَوَّتْنِي .. لأتَى منذ الهزيمة لا لون لي
(غير لون الضياغ)
قبلها ؛ كنتُ أقرأ في صفحة الرمل
(والرمل أصبح كالعملية الصعبة ،
الرمل أصبح أبسط .. تحت أقدام جيش الدفاع)
فأذكرني ؛ كما تذكرين المَهْرَب .. والمطرب العاطفي ..
وكتاب العقيد .. وزينة رأس السنة .
أذكرني إذا تيسرتي شهود العيان
ومضبطة البرلمان
وقائمة التهم المعلنة
والوداع !

الوداع !

(الاصحاح السادس)

دقت الساعة الخامسة
ظَهَرَ الجند دائرة من دُروعٍ وحُوذات حرب
ها هُم الآن يقتربون رويداً .. رويداً ..
يعيشون من كُل صَوْتٍ
والمُعْتُون — في الكعكة الحجرية — يَنْقِضُونَ
وَيَنْفَرُجُونَ
كبضبة قلب !
يُشعلون الحناجر ،
يستدفئون من البرد والظلمة القارسة
يرفعون الأناشيد في أوجه الحرس المقرب
بشكوك أياديهم الغضة البائسة
لتصير ساجداً يصدُّ الرصاص !
الرصاص ..
الرصاص ..
وآه ..

« نَحْنُ فِدَاؤُكُمْ »

وتسقط حنجرة مُخْرِسَةٌ

مَعَهَا يَسْقُطُ ابْنُكَ — يَا مِصْرُ — فِي الْأَرْضِ

لَا يَبْقَى سِوَى الْجَسَدِ الْمَتَشَمِّمِ وَالصَّرَخَاتِ

عَلَى السَّاحَةِ الدَّامِسَةِ !

دَقَّتِ السَّاعَةُ الْخَامِسَةُ

... ..

دَقَّتِ الْخَامِسَةُ

... ..

دَقَّتِ الْخَامِسَةُ

... ..

وَتَفَرَّقَ مَأْوُكَ — يَانْهَرُ — حِينَ بَلَغْتَ الْمَصِيبَ !

• • •

الْمَنَازِلُ أَضْرَحَةٌ ، وَالزَّنَازِنُ

أَضْرَحَةٌ ، وَالْمَلْدَى أَضْرَحُهُ

فَارْفَعُوا الْأَسْلِحَةَ !

ارْفَعُوا

الْأَسْلِحَةَ

سِرْحَانُ لَا يَتَسَلَّمُ مِفَاتِيحَ الْقُدُسِ

(بِكَاتِلَاتِ)

(الْإِصْحَاحُ الْأَوَّلُ)

عَائِدُونَ ؛ وَأَصْفَرُ إِخْوَتِهِمْ ذُو الْعَيُونِ الْحَزِينَةِ

يَتَقَلَّبُ فِي الْجُبِّ ،

أَجْمَلُ إِخْوَتِهِمْ .. لَا يَعُودُ !

وَعَجُوزٌ هِيَ الْقُدْسُ (يَشْتَعِلُ الرَّأْسُ شَيْبًا)

تَشْمُ الْقَمِيصَ . فَتَبْيِضُ أَعْيُنُهَا بِالْبُكَاءِ ،

وَلَا تَخْلَعُ الثَّوْبَ حَتَّى يَحْيِيَ لَهَا نَبَأٌ عَنْ فَتَاهَا الْبَعِيدِ

أَرْضُ كَنْعَانَ — إِنْ لَمْ تَكُنْ فِيهَا — مَرَاغٍ مِنَ الشُّوْكِ

يُورِثُهَا اللَّهُ مِنْ شَاءَ مَنْ أُمِّمَ ،

فَالَّذِي يَحْرُسُ الْأَرْضَ لَيْسَ الصِّمَارِفُ

إِنَّ الَّذِي يَحْرُسُ الْأَرْضَ رَبُّ الْجُنُودِ

أَهْ مِنْ فِي غَيْدٍ سَوْفَ يَرْفَعُ هَامَتَهُ

غَيْرِ مِنْ طَاطَاوٍ حِينَ أَزَّ الرِّصَاصُ ؟

ومن سوف يخطب — في ساحة الشهداء —
سوى الجبناء ؟
ومن سوف يغوى الأرامل إلا الذى
سيؤول اليه : راج المدينة ؟!!

(الاصحاح الثانى)

أرشق فى الحائط حد المطواه
والموت يهت من الصحف الملقاة
اتجزأ فى المرأة
بصفعى وجهى المتخفى تحت قناع النفط
من يجرؤ أن يضع الجرس الأول فى عنق القط ؟

(الاصحاح الثالث)

منظر جانبي لفيروز
(وهى تطل على البحر من شرفة الفجر)
لبنان فوق الخريطة :
منظر جانبي لفيروز ،
والبنديقة تدخل كل بيوت (الجنوب)

مطر النار يهطل ، يثقب قلباً .. فقلباً
ويترك فوق الخريطة ثقباً .. فثقباً
وفيروز فى أغنياء الرعاة البسيطة
تستعيد المرائى لمن سقطوا فى الحروب
تستعيد الجنوب !

(الاصحاح الرابع)

البسمة حلم
والشمس هى الدينار الزائف
فى طبق اليوم
(من يمسح عنى عرق فى هذا اليوم الصائف)
والظل الخائف
يتمدد من تحتى ؛
يفصل بين الأرض .. وبينى !
وفضاء لك كبحر مات بأرض الخوف
(حاء .. باء)
(حاء .. راء .. ياء .. هاء)
الحرف : السيف
مازلت أروء بلاد اللون الداكن

ابحث عنه بين الاحياء الموق والموق الاحياء
حتى يرتد البض إلى القلب الساكن
لكن .. !!

(الاصحاح الخامس)

منظر جانبي لعمان عام البكاء
والحوادث مرشوشة ببقايا دم لعنته الكلاب
ونهود الصبايا مصاييح مفضاة فوق أعمدة الكهرباء
منظر جانبي لعمان ؛
والحرس الملكي يفتش ثوب الخليفة
وهو يسير إلى « إلبلاء »
وتغيب البيوت وراء الدخان
وتغيب عيون الضحايا وراء النجوم الصغيرة
في العلم الأجنبي ،
ويعلو وراء نوافذ « بسمان » عزف البيان

(الاصحاح السادس)

اشترى في المساء

قهوة ، وشطيرة
واشترى سمعتين . وغدارة ؛ وذخيرة
وزجاجة ماء

... ...

عندما أطلق النار كانت يد القدس فوق الزناد
(ويد الله تخلع عن جسد القدس ثوب الحداد)
ليس من أجل أن يتفجر فقط الجزيرة
ليس من أجل أن يتفاوض من يتفاوض
من حول مائدة مستديرة
ليس من أجل أن يأكل السادة الكستناء .

(الاصحاح السابع)

ليغفر الرصاص من ذنبك ما تأخر
ليغفر الرصاص .. ياكستجر

سفر الف دال

(الاصحاح الأول)

القطارات ترحل فوق قضيبين : ما كان — ماسيكون !
والسماء رماد ، به صنع الموت قهوته ،
ثم ذراه كى تَشْتَقُّه الكائنات
فينسل بين الشرايين والأفئدة .
كل شيء — خلال الزجاج — يَفِرُ :
رذاذ الغبار على بقعة الضوء ،
أغنية الريح ،
قنطرة النهر ،
سرب العصافير والأعمدة .
كل شيء يَفِرُ ،
فلا الماء تمسكه اليد ،
والحلم لا يتبقى على شرفات العيون .
... ..

والقطارات ترحل ، والراحلون
يَصِلُونَ .. ولا يَصِلُونَ !

(الاصحاح الثانى)

مستترال :

أعط للفتيات

(اللواق يَتَمَنَ إلى جانب الآلة الباردة

شارداد الخيال)

رقمى — رقم الموت — حتى أجيء إلى العُرس
ذى الليلة الواحدة !

أعطه للرجال ..

عندما يلثمون حبيبتهم فى الصباح ،

ويرتلون إلى جبهات القتال !

(الاصحاح الثالث)

الشهور زُهور على حافة القلب تنمو

وتحرقها الشمس ذات العيون الشتائية المطفأة

زهرة فى إناء

توهج فى أول الحب بينى وبينك

تصبح طفلاً .. وأرجوحة .. وامرأة .

زهرة في الرداء

تَتَفَتَّحُ أوراقُها في حياءٍ

عندما تتَخَصَّرُ في المشية الهادئة .

زهرة من غناء

تتورَّدُ فوق كمنجبات صوتك

حين تفاجئك القبلَةُ الدافئة

زهرةً من بكاء

تتجمَّدُ فوق شجيرة عينيك في لحظات الشجار الصغيرة ،

أشواكها : الحزن والكبرياء .

... ..

زهرةً فوق قبرٍ صغيرٍ

تنحنى ؛ وأنا أتحاشى التطلع نحوكِ ..

في لحظات الوداع الأخير

تتعرَّى ؛ وتلتفُّ بالدمع في كلِّ ليلٍ إذا الصمتُ جاء

لم يُعَدِّ غيرُها من زهور المساء

هذه الزهرة — اللؤلؤة !

(الاصحاح الرابع)

تحبل الفتيات

في زيارات أعمامهنَّ إلى العائلة

ثم يجهنَّهنَّ الزحامُ على سُلَّم « الحافلة »

وترام الضجيج !

• • •

تذهبُ السيداتُ

لِيُعَالِجَنَّ أَسْبَنَانَهُنَّ فَيُؤْمِنُ بالوحدة الشاملة !

ويُجِدْنَ الهوى بلسان « الخليج » ؟

• • •

يا أبانا الذي صار في الصيدليات والعلبِ العازلة

نُجِّنَا من يد « القابِلة »

نُجِّنَا . حين نُقَضِّم — في جَنَّةِ البؤس — تَفَاحَةَ العرَباتِ

وثيابِ الخروج !!

(الاصحاح الخامس)

تصرخين .. وتخرقين صفوف الجنود
تتعانق في اللحظات الأخيرة ،

في الدرجات الأخيرة .. من سلم المقصلة .
أتمسك وجهك !

(هل أنت طفلة المستحيلة أم أمي الأرملة ؟)
أتمسك وجهك !

(لم ألك أعنى ..
ولكنهم أرفقوا مقلتي ویدی بملف اعتراف
لتنظرة السلطات ..

فتعرف أنني راجعته كلمة .. كلمة ..
ثم وقته يدي ..

— ربما درس هذا الحق لي جملة تنتهي لي إلى الموت ! —
لكنهم وعدوا أن يعيدوا إلي يدي وعيني بعد
انتهاء المحاكمة العادلة !)

زمن الموت لا ينتهي يا ابنتي الناكلة
وأنا لست أول من نبأ الناس عن زمن الزلزلة
وأنا لست أول من قال في السوق :

ان الحمامة — في الغن — تحتضن القنبلة !
قبليني ؛ لأنقل سرى إلى شفيتك ،

لأنقل شوق الوحيد
لك ، للسنبلة

للزهور التي تتبرعم في السنة المقبلة
قبليني .. ولا تدمعي !

سحب الدمع تعجني عن عينك ..
في هذه اللحظة المشقة
كثرت بيننا الستر الفاصلة
لا تضيفي إليها ستاراً جديداً !

(الاصحاح السادس)

كان يجلس في هذه الزاوية .

كان يكتب ، والمرأة العارية

تجول بين الموائد ؛ تعرض فتنها بالثمن .

عندما سأله عن الحرب ، قال لها ..

لا تخافي على الثروة الغالية

فقدو الوطن

مثلنا يحترق

مثلنا .. بعشق السلع الأجنبية ،

يكره لحم الخنازير ،
يدفع للبندقية .. والغاية .
.. فبكث !

... ..

كان يجلس في هذه الزاوية .
عندما مرّت المرأة العارية

ودعاها ؛ فقالت له إنها لن تطيل القعود
فهى منذ الصباح تُفتش مستشفيات الجنود
عن أخيها المحاصر في الضفة الثانية
(عادت الأرض .. لكنه لا يعود !)

وحكّت كيف تحمل العبء طيلة غريته القاسية
وحكّت كيف تلبس — حين يحىء — ملابسها الضافية
وأرثته له صورة بين أطفاله .. ذات عيد
.. وبكت !!

(الاصحاح السابع)

أشعر الآن أنى وحيد ؛
وأن المدينة في الليل ..

(أشباحها وبنائها الشاهقة)
سفن غارقة

نهبتها قراصنة الموت ثم رمتها إلى القاع منذ سنين .
أسند الرأس ربانها فوق حافتها ،
وزجاجة خمر محطمة تحت أقدامه
وبقايا وسام ثمين .

وتشبت بجارة الأمل فيها بأعمدة الصمت في الأروقة
يتسلل من بين أسماهم سمك الذكريات الحزين .
وختاجر صامتة ..
وطحالب نابثة ..

وسلال من القطط النافقة .
ليس ما ينبض الآن بالروح في ذلك العالم المستكين
غير ما ينشر الموج من علم .. كان في هبة الريح
والآن يفرك كفيه في هذه الرقعة الضيقة
سيظل على الساريات الكسيرة يخفق ..
حتى يذوب .. رويداً .. رويداً ..

وبصداً فيه الحنين
دون أن يلثم الريح ثانية ، أو يرى الأمل :
أو يتهدد .. من شمسها المحرقة !

(الاصحاح الثامن)

آه .. سيدى المسيلة

آه .. سيدة الصمت واللغات الودود

لم يكن داخل الشقة المقفلة
غير قيط وحيد .

حين عادت من السوق تحمل سلتها المثقلة
عرفت أن ساعى البريد
مر ..

(فى فتحة الباب كان الخطاب
طريحاً ..

ككباب الشهيد !)

قفز القط فى الولولة

قفزت من شبايك جيرانها الأسئلة

... ..

آه .. سيدة الصمت والكلمات الشرود

آه .. أيتها الأرملة !

(الاصحاح التاسع)

دائماً .. حين أمضى ؛ أرى السترة القرمزية

بين الزحام .

وأرى شعرك المتهدل فوق الكتف .

وأرى وجهك المتبدل .. فوق مرايا الخوانيت ،

فى الصور الجانبية ،

فى نظرات البنات الوحيدات ،

فى لمعان خدود المحبين عند حلول الظلام .

دائماً أنتحس ملامس كفك فى كل كف .

المقاهى التى وهبتنا الشراب ،

الزوايا التى لا يرانا بها الناس ،

تلك الليالى التى كان شعرك يبتل فيها ..

فتختبئين بصدرى من المطر العصى

الهدايا التى نتشاجر من أجلها ،

حلقات الدخان التى تتجمع فى لحظات الخصاص

دائماً أنت فى المنتصف !

أنت بينى وبين كئاسى ..

وبينى وبين فراشى ..

وبينى وبين هدونى ..

وبينى وبين الكلام .

ذكر يأتلك سجنى ، وصوتك يجلدى
ودمى قطرة — بين عينيك — ليست تجف !
فامنحنى السلام !
امنحنى السلام !

(الاصحاح العاشر)

أفاج تمام على راحة القمر الأبدى الصموت .
لَمَمَانُ الجلود المفضضة المستطيلة يغدو مصايح
مسمومة الضوء ، يففو بداخلها الموت ،
حتى إذا غرب القمر : انطفاأت
وعلى في شرايينها السم
تنزفه قطرة .. قطرة ؛ في السكون المميث !

... ..

... ..

وأنا كنتُ بين الشوارع وحدى !
وبين المصايح وحدى !
أنصبب بالحزن بين قميعى وجلدى
قطرة .. قطرة ؛ كان حى يموت
وأنا خارج من فراديسه ..
دون ورقة توت !!

الشوارع في آخر الليل .. آه
أرامل متشحات يهنهن في عتبات القبور — البيوت .
قطرة .. قطرة ، تتساقط أدمعهن مصايح ذابلة
تشبث في وجنة الليل ثم .. تموت !
... ..

الشوارع في آخر الليل .. آه
خيوط من العنكبوت .
والمصايح — تلك الفراشات — عالقّة في مغالها
تتلوى .. فتعصرها ، ثم تتحل شيئا . فشيئا
فتمتص من دمها قطرة .. قطرة ؛
فالمصايح قوت !

... ..

الشوارع في آخر الليل .. آه

ممدودة — كالنداء
ومشدودة — كالوتر
... ..
وتطل .. وحيدة !!

المزمور الأول

أعشق أسكندرية ،
واسكندرية تعشق رائحة البحر ،
وانبحرُ يعشق فاتبةً في الضفاف البعيدة !
• • •

كل أمسية ؛ تسلسل من جانبي
تتجرد من كل أثوابها
وتحل غداؤها

ثم تخرج عاريةً في الشوارع تحت المطر !
فاذا اقتربت من سرير التهدؤ والزرقعة
انطرحت في ملاءاته الرغوية ؛
وانفتحت .. تنتظر !

المزمور الثاني

قلت لها في الليلة الماطرة :
البحر عنكبوت
وأنت — في شراكه — فراشة تموت
وانتفضت كالقطة النافرة
وانتصبت في خفقان الریح والأمواج
(ثديان من زجاج
وجسد من عاج)
وانفلتت مبحرةً في رحلة المجهول ، فوق الزبد المهنأج
ناديت .. ما ردت !
صرخت .. ما ارتدت !
وظل صوّني يتلاشى .. في تلاشيها ..

وراء الموجة الكاسرة)

...
...
...
(خاسرة ، خاسرة

إن تنظري في عَيْنِي الغرِيمِ الساحرة
أو ترفعي عَيْنِيكَ نحو الماسَةِ التي تَزِين النَاجِ !)

المزمور الثالث

لفظ البحرُ أعضاءَها في صباح أليم
فرايْتُ الكلومَ

ورأيْتُ أظافرَها الدمويةَ

تَلَوِي على خصلةٍ « ذهبية »

فَحَشَوْتُ جراحاتها بالرمالِ ،

وأدفأْتُها بنبِيذِ الكرومِ ..

... ..

وتميشُ معي الآن !

ما بيننا حائطٌ من وجوم

بيننا نسماثُ « الغريمِ »

كلُّ أمسية ..

تسلل في ساعة المَدَدِ ، في الساعة القمرية

تستريح على صخرة الأبدية

تسمَعُ سخريةَ الموج من تحت أقدامها

وصفير البواخر .. راحلة في السواد الحميم

تتصاعدُ من شفتيها المُمْلَحَتَيْنِ رياحُ السُومِ

تساقطُ أدمعها في سهوم

والنجوم

(الغريقة في القاع)

تصعدُ .. واحدة .. بعد أخرى ..

فتلقطُها

وتعدُّ النجومَ

في انتظار الحبيب القديم !

المزمور الرابع

(ترنيمة لشهر يناير)

فجأة .. يَجْفُلُ خطوُ القلبِ ،

تهتزُّ الكَرَيَاتُ الرصاصيةُ في سَلْتِهِ

(هل إصبع الوحدة أم اصبعك المصبوغ بالحناء ؟)

في الخارج أسواراً وأمطاراً ،

غلاف الليل ينشق عن الرعد

غلاف القلب ينشق عن الوحيد

مساحات من الضوء الرمادي

أنا النافذة المغلقة السوداء

والنافذة الحمراء

والأسماء

(لاسمى كان مكتوباً على طرف قميصي

قبل أن يعلّق في سلك الحدود الشائك !)

النهر ضميري (ولعينيك انسياب النهر)

ما أقسى انتظاري ! ..

وفؤادي ساعة رملية صفراء

تهوى الرمل في أعماقها شيئاً فشيئاً

ربما للرمل طعم الملح أحياناً .. وطعم الانتظار !!

(المزمور الخامس)

كان فستائك في الصيف من الكتان ،

وتزهرة في صدرك بيضاء ،

ولكن الشتاء الآن يكسوك بلون السل والرجس

(حتى ورقة أثوب على فخذيك .. صفراء !)

هل الماء يفيض الآن في البئر ؟

هل الماء يفيض الآن في البئر ؟

أماء ؟ أم دم ؟

(هذا الندى القاتل ذو الوجهين)

كان النأي يمتد من الضفة للضفة

من صدرك إلى صدرك

كان النأي ممتداً

ولون الليل بين البرقالي — الرمادي — السماوي

وفي شعرك غابات من الوحشة والصمت ؛

هوى نخب ؛ وفي الثانية التالية اصطكت يدي

في الشبح العابر

(هل كانت يدي في يدك اليسرى ؟)

وفي الثانية التالية اصطكت يدي في كلمة السجن

على وجه الجدار !!

المزمور السادس

نَحْنُ صَوْتَان ..

(إِذْنُ فَالصَوْتُ قَدْ أَصْبَحَ صَوْتَيْنِ ؟)
تَنْزُّهَا عَلَى خُطِّ اسْتَوَاءِ الْمَوْتِ ،
أَعْلَمْنَا السَّفْسُخَ
وَتَسْلَقُنَا شِعَاعَ الرَّهْمِ ، حَلَّخْنَا مَزَالِيخَ الْبَيُوتِ
وَقَدْخْنَا حَجَرَ الْحُبِّ ؛ حَلَسْنَا تَوَهُجَ
فَاحْلَمِي نَاسِمِي . وَبَاسْمِ الْعَنَكُوثِ
نَاسِمِ نَقْشِ الذِّكْرِيَّاتِ الْمُتَعَرِّجِ
وَرَكَاكِ الذِّكْرِيَّاتِ السَّرِجِ
أَنهَا وَرَقَةٌ نَوْتُ
سَقَطَتْ عَنْ عَوْرَةِ الصَّيْفِ ،
وَضَلَّتْ تَدَحْرُجُ
فَوْقَهَا يَتَفَرَّجُ
(دُونَ أَنْ تَقْطُوفَ) حَتَّى سَقَطَتْ فِي النِّهْرِ ..
وَارْتَدَّتْ السَّكُوثُ !

المزمور السابع

جاءَ الْإِنْسَانُ الْمَيْتُونَ ، يَحْمِلُونَ
كِفَاتِهِمْ ؛ أَطْيَارُهُمْ لَيْسَتْ إِلَى أَعْنَاقِهِمْ ؛

يَسْتَفْسِرُونَ :

« مَاذَا أَقَى بِنَا هُنَا ! ؟ »
أَتَتْ بِكُمْ أَمْرَأَةً خَاطِلَةً
نَهَوْدَهَا دَافَّةً
وَلَحْمَهَا مُعْطَرُ الثَّنَكِهِ
قَدْ اسْتَدَارَتْ فِي فِرَاشِهَا بَرَهَةً
عَانَقَتْ الْجِدَارَ ، قَبِلَتْ وَجْهَهُ
« يَا أَيُّهَا الْجِدَارُ .. لَا تَبِيعْ بِمَا تَرَى
وَلَا تُقَلِّعْ عَنِ الَّذِينَ يُولَدُونَ
وَعَمِيقَ الْجِدَارِ : »
يَا صَدِيقَتِي الطِّفْلَةَ
مَاذَا الَّذِينَ يَسْأَلُونَ !
... ..
وَمَرَّتِ اللَّيْلَةُ
فَرُبَّمَا كَانَ أَبَاكُمْ الْجِدَارَ ،
رُبَّمَا يَكُونُ !

المزمور الثامن

(شَجْوِيَّة)

لماذا يتابعني أينما سرْتُ صوتُ الكَمَانِ ؟
أسافرُ في القاطراتِ العتيقة ،
(كى أتحدّث للغرباء المُسَيِّينَ)

أرفع صوتي ليظفني على ضجّة العجلاتِ
وأغفو على نبضاتِ القطارِ الحديديّة القلبِ
(مهدر مثل الطواحينِ)

لكنها بغتة .. تتباعد شيئاً فشيئاً
ويصحو نداء الكمان !

• • •

أسيرُ مع الناس ، في المهرجانات :
أصغى لبوق الجنودِ الثّحاسيّ
يملاً حلقي غبارُ التشييد الحماسيّ
لكنتى فجأة .. لا أرى !

تتلاشى الصفوفُ أمامي
وينسربُ الصوتُ مبتعداً

ورويداً .. رويداً يعود إلى القلب صوتُ الكمانِ

لماذا إذا ما مبيّأتُ للنوم يأتى الكمان ..
فأصغى له آتياً من مكان بعيد
قتصمت مهمةُ الريح خلف الشبايلك ،
نبضُ الوسادة في أذني
ترجعُ دقاتُ قلبي ،
وأرحل في مدن لم أرّها
شوارعها فضة .

وبناياتها من خيوط الأشعة
ألقى التي واعدتني على ضفّة النهر واقفة !
وعلى كتفها يحطُ الحمامُ الغريبُ

ومن راحتها يغطُ الحنان !
أحبك ، صارَ الكمانُ كموبَ بنادقِ

وصارَ يمامُ الحداثيّ .
قابلُ تسقط في كلّ آن

... ..

وغابَ الكمان !

من أوراق أبو نواس

(الورقة الأولى)

« ملك أم كتابة ؟ »

صاح لي صاحبي ؛ وهو يُلقى بذرهم في الهواء
ثم يلقفه ..

(تخرجين من الدرس كنا .. وحبر الطفولة فوق الردف ..
والعصافير تمرق عبر البيوت ،
وتهبط فوق النخيل البعيد !)

... ..
« ملك أم كتابة ؟ »

صاح لي .. فانتبهت ، وزفت ذهابه
حول عينيْن لامعتين ..
فقلت : « الكتابة ! »

... فتع اليد مبتسما ؛ كان وجه المليلك السعيد
باسماً في مهابة !

« ملك أم كتابة ؟ »

صححت فيه بدوري ..

فرفرف في مقلتيه الصبا والنجابة

وأجاب : « الملك »

دون أن يتلعثم .. أو يرتبك

وفتحت يدي ..

كان نقش الكتابة

بارزاً في صلابه !

دارت الأرض دورتها ..

حملتنا الشواذيف من هدأة النهر

ألقث بنا في جداول أرض السراية

نتفرق بين حقول الأسى .. وحقول الصبابة .

قطرتين ؛ التقينا على سلم القصر ..

ذات مساءً وحيداً

كنت فيه : نديم الرشيد

— احرصوا

وتسلل في الخلق خيطٌ من الدم .

كان لئي يمسك الجرح ،

يمسك قامته .. ومهَابَتِهِ العائِلِيَّة !

— يا أُنَى

— احرصوا

وتواريت في ثوب أمي ، والطفل في صدرها مائتس

ومضوا بأني تاركين لنا اليم متشحاً بالحرس

(الورقة الرابعة)

أيها الشعر .. يا أيها الفرع . المُخْتَلَس

... ..

كل ما كنتُ أكتبُ في هذه الصفحة الـوَرَقِيَّة

صادرتَه العسَن

... ..

(الورقة الخامسة)

(الورقة الثانية)

من يملك العملة يُمسك بالوجهين

والفقراء بين يمين !

(الورقة الثالثة)

نائماً كنتُ بجانبه ؛ وسمعتُ الحرس

يوقظون أبي !

— خارجي

— أنا .. !

— مارق

— من ؟ أنا !

صرخَ الطفلُ في صدر أمي

(وأُمِّي محلولة الشعر واقفةً في ملابسها المنزلية)

— احرصوا

واختبأنا وراء الجدارِ

... وأُمِّي محادمةٌ فارسيَّة

يَتَنَاقَلُ سادُّها قهوةَ الجنسي وهي تدير الحطب
يتبادلُ سادُّها النظرات لاردافها ..

عندما تمنحني لثضِيءَ اللهب
يتندَّر سادُّها الطيِّبون بלהجتها الأعجميَّة !

• • •

نائماً كنت جانيها ، ورأيتُ ملاكَ القُدُسِ
ينحني ، ويُرَبِّتُ وجنتها

وتراخى الذراعانِ عني قليلاً
وسارت بقلبي قُشْغَرِيَّة الصميتِ

— أُمِّي ؛ وعادَ لي الصوتُ

— أُمِّي ؛ وجاوبني الموتُ

— أُمِّي ؛ وعانقتها .. وبكيت

وغامَ لي الدمعُ حتى احتَبَسَ !

• • •

(الورقة السادسة)

لا تسألني إن كَانَ القُرْآنُ
مخلوقاً أو أزلني
بل سألني إن كَانَ السلطانُ
لصاً .. أو نصفُ نبيِّ

(الورقة السابعة)

كنتُ في كربلاء
قال لي الشيخُ أن الحسينَ
ماتَ من أجل جرةِ ماءٍ
... ..

وتساءلتُ كيف السيوفُ استباحَت بني الأكرمينَ
فأجابَ الذي بصُرته السماءُ
إنه الذهبُ المتلألئُ في كُلِّ عينٍ
... ..

إن تكن كلماتُ الحسينِ
وسيوفُ الحسينِ

وجلالُ الحسين
سَقَطَتْ دُونَ أَنْ تُنْقَذَ الْحَقُّ مِنْ ذَهَبِ الْأَمْوَاءِ
أَفْقَلُ أَنْ تُنْقَذَ الْحَقُّ ثُرُوثُ الشُّعْرَاءِ
وَالْفَرَاثُ لِسَانُ مَنْ الدَّمُ لَا يَجِدُ الشَّفِيعِينَ ١٩

• • •

(١)

اللَّوْحَةُ الْأُولَى عَلَى الْجِدَارِ :
لَيْلِ « الدَّمَشْقِيَّة »
مِنْ شَرْقَةِ « الْحَمْرَاءِ » تَرْنُو لِمَغِيبِ الشَّمْسِ ،
تَرْنُو لِلخِيوطِ الْبُرْتَقَالِيَّةِ
وَكِرْمَةِ أُنْدَلُسِيَّةٍ ، وَفَسَقِيَّةٍ
... ..
وَطَبَقَاتُ الصَّمْتِ وَالْغَبَارِ !
نَقَشُ
(مَوْلَايَ ، لَا غَالِبَ إِلَّا اللَّهُ !)

مَاتَ مِنْ أَجْلِ جُرْعَةِ مَاءٍ •
فَاسْقِنِي بِأَغْلَامِ صَبَاحِ مَسَاءِ
اسْقِنِي بِأَغْلَامِ ..
عَلَنِي بِالْمَدَامِ ..
أَتَنَاسَى الدَّمَاءَ !

اللوحة الأخرى .. هلا إطار :
 للمسجد الأقصى .. (وكان قبل أن يحترق الرواق)
 وقبة الصخرة ، والبراق
 وآية تأكلت حروفها الصغار !
 نقش

(مولاي ، لا غالب إلا .. اتار !)

اللوحة الدائمة الخطوط ، والواهيّة الخيوط :
 لعاشق محترق الأجفان
 كان اسمه « سرحان »
 يمسك بندقيّة .. على شفا السقوط
 نقش

(بيني وبين الناس تلك « الشعرة »
 لكن من يقبض فوق النورة
 يقبض فوق الجمرة !)

اللوحة الأخيرة :
 خريطة مبتورة الأجزاء
 كان اسمها « سيناء »
 ولطخة سوداء
 تملأ كل الصورة

نقش
 (الناس سواسية — في الدّل — كأسنان المشط
 ينكسرون — كأسنان المشط
 في لحيّة شبيخ النفط !)

• • •

كتابة في دفتر الاستقبال :
 لا تسأل النبل أن يعطى وأن يُلدّا
 لا تسأل .. أبدا
 إني لأفتح عيني (حين أفتحها !)
 على كثير .. ولكن لأرى أحدا !!

يبعون لسيارات أصحاب الملايين .. الرياحين
 وفي « المترو » يبعون الدبايس وه يس
 وينسلون في الليل يبعون « الجعارين »
 لأفواج الغزاة السائحين !

« خاتمة »

... ..
 هذه الأرض التي ما وَعَدَ اللهُ بها ..
 مَنْ خرجوا من صُلُبها ..
 وانفروا في تربها ..
 وانطرحوا في حُبها ..
 مُستشهدين !

... ..
 فادخلوها « بسلام » آمين !!

آه .. من يُوقِفُ في رأسى الطواحين ؟
 ومن يَنْزِعُ من قُلُوبِ السكاكين ؟
 ومن يَقْتُلُ أطفال المساكين ..
 لئلا يكبروا في الشَّقِيقِ المفروشة الحمراء
 خدامين ..
 مأبونين ..
 قوادين ..

من يَقْتُلُ أطفال المساكين ؟
 لكيلا يصبحوا — في الغد — شحاذين ..
 يستجدون أصحاب الدكاكين.
 وأبواب المرائين

أَقْوَالٌ جَدِيدَةٌ
عَنْ
حَرْبِ الْيَسُونِ

مقتل كليب « الرمايا العشر »

.. فنظر « كليب » حواله وتحسر ، وذرف دمعاً وتعمّر ، ورأى
عيداً واقفاً فقال له : أريد منك يا عبد الخير ، قبل أن تسلبني ، أن
تسحبني إلى هذه البلاطة القريبة من هذا القدير ، لأكتب وصيتي
إلى أخي الأمير سالم الزير ، فأوصيه بأولادي وقلدة كبدي ..

فسحبه العبد إلى قرب البلاطة ، والرمح غارس في ظهره ، والدم
يقطر من جنبه .. فغمس « كليب » إصبعه في الدم ، وخط على
البلاطة وأنشأ يقول ..

قصة الأمير سالم الزير

لاتصالح

(١)

لاتصالح !

.. ولو منحوك الذهب

أترى حين أفقاً عينيك ،

ثم أثبتت جوهريتين مكانهما ..

هل ترى .. ؟

هى أشياء لا تشتري .. :

ذكريات الطفولة بين أخيك وبينك ،

حسبكما — فجأة — بالرجولة ،

هذا الحياء الذى يكبت الشوق .. حين تعانقه ،

الصمت — مبتسمين — لتأنيب أمكما ..

وكانكما

ما تزالان طفلين !

تلك الطمأنينة الأبدية بينكما :

أن سيفان سيفك ..

صوتان صوتك

أنك إن مت :

للييت رب

وللطفل أب .

هل بصير دمي — بين عينك — ماء ؟

أتسى ردائي الملطخ ..

تلبس — فوق دماي — ثياباً مطرزة بالقصب ؟

إنها الحرب !

قد تنقل القلب ..

لكن خلفك عاز العرب .

لا تصالح ..

ولا تنوح الهرب !

(٢)

لاتصالح على الدم .. حتى بدم !
لاتصالح ! ولو قيل رأس برأس ،
أكل الرأس سواء ؟ !
أقلب الغريب كقلب أخيك ؟ !
أعيناه عينا أخيك ؟ !
وهل تساوى يد .. سيفها كان لك
ييد سيفها أنكلك ؟

سيقولون :

جئناك كى تحقن الدم ..
جئناك . كن — بأمر — الحكم

سيقولون :

ها نحن أبناء عم .
قل لهم : إنهم لم يُراعوا العمومة فيمن هلك .
واغرس السيف في جبهة الصَّحراء ..
إلى أن يجيب القدم .
لأننى كنت لك .
فارماً .

وأخاً .
وأباً .
ومليك !

(٣)

لاتصالح ..
ولو حرمتك الرقاد
صرخات الندامة .
وتذكر ..

(إذا لأن قلبك للنسوة اللابسات السواد ولأطفالهن الذين
تخاصمهم الابتسامة)
أن بنت أخيك « الجمامة »
زهرة تسريل — فى سنوات الصبا —
بثياب الحداد .

كنت ، إن عدت :

تمدو على درج القصر ،
تمسك ساقى عند نزولى ...
فأرفعها — وهى ضاحكة —
فوق ظهر الجواد .

ها هي الآن .. صامتة .

حرمها يدُ الغدر :

من كلمات أيها ،

أرتداء الثياب الجديدة ،

من أن يكون لها — ذات يوم — أخ !

من أب يتبسّم في عرسها ..

وتعود إليه إذا الزوج أغضبها ..

وإذا زارها .. يتسابق أحفاده نحو أحضانها ،

لينالوا الهدايا ..

ويهلوا بلحيته (وهو مستسلم)

ويشدوا العمامة .

لا تصالح !

فما ذنبُ تلك البجامة

لترى العشّ محترقاً : فجأة ،

وهي تجلس فوق الرماذ ؟ !

(٤)

لاتصالح

ولو تُوجوك بتاج الإمارة .

كيف تحطو على جثة ابن أبيك .. ؟

وكيف تصير المليك ..

على أوجهِ البهجة المستعارة ؟

كيف تنظر في يد من صافحوك ..

فلا تبصر الدّم ..

في كل كف ؟

ان سهماً أتانى من الخلف ..

سوف يبيئك من ألف تخلف .

فالدّم — الآن — صار وساماً وشارة .

لاتصالح ،

ولو تُوجوك بتاج الإمارة

إن عرشك : سيف

وسيفك : زيف

إذا لم تزن — بذواته — لحظات الشرف

واستطببت — النرف

لاتصالح

ولو قال مَنْ مال عند الصدام
« .. ما بنا طاقة لامتشاق الحسام .. »
عندما يملأ الحق قلبك :

تدلع النار إن تَنفَسْ
ولسان الخيانة يخرس

لاتصالح ،

ولو قيل ما قبل من كلمات السلام .
كيف تستشق الرثاين السيم المَدُنْ ؟
كيف تنظر في عيني امرأة ..

أنت تعرف أنك لا تستطيع حمايتها ؟

كيف تُصَبِّح فارسها في الغرام ؟

كيف ترجو غداً .. لوليد ينام

— كيف تعلم أو تتغنى بمستقبل لغلام

وهو يكبر — بين يديك — بقلب منكسر ؟

لا اتصالح

ولا تقتسم مع من قتلوك الطعام .

وارو قلبك بالثم ..

وارو التراب المقدس ..

وارو أسلافك الراقدين ..

الى أن ترد عليك العظام !

لاتصالح ،

ولو تاشدتك القبيلة

باسم حزين « الجليلة »

أن تسوق الدهاء ،

وتبدي — لمن قصدوك — القبول .

سيقولون :

ها أنت تطلب ثأراً يطول .

فخذ — الآن — ما تستطيع :

قليلاً من الحق ..

فى هذه السنوات القليلة .

إنه ليس ثأرك وحدك ،

لكنه ثأر جيل فجيل .

وعدا ..

سوف يولد من بلبس الدرغ كاملة ،
يوقد النار شاملة ،
يطلب النار ،
يستولد الحق ،

من أضلع المستحيل .

لا تصالح ،

ولو قيل إن التصالح حيلة .
إنه النار .

تبهت شعلته في الضلوع ..

إذا ما توالى عليها الفصول ..

ثم تبقى يد العار مرسومة (بأصابعها الخمس)
فوق الجباة الذليلة ! .

(٧)

لا تصالح ، ولو حذرناك النجوم
ورمى لك كهانها بالنبا ..
كنت أغفر لو أنني ميت ..

ما بين خيط الصواب وخيط الخطأ .
لم أكن غانياً ،

لم أكن أتسلل قرب مضاربهم

أو أحوم وراء التخوم

لم أمد يداً لئام الكروم

أرض يستانيهم لم أطأ

لم يصيح قاتلي لي : « التبة » !

كان يمشي معي ..

ثم صافحني ..

ثم سار قليلاً

ولكنه في الفصول أختبأ !

فجأة :

تقبطني قشعرته بين ضلعين ..

واهتز قلبي — كفقاعة — وانفأ .

وتحاملت ، حتى احتلمت على ساعدي

فرايت : ابن عمي الزنيم

واقفاً يتشفى بوجه لثيم

ليقتلنى.. بمشيئته
ليس أبلّ متى .. ليقتلنى يسكتني ،
ليس أمهر متى .. ليقتلنى باستدارته الماكرة

لا تصالح ،

فما الصلح إلا معاهدة بين نذنين ..

(في شرف القلب)

لا تُنْقَضْ

والذى اغتالنى مُحضُ لص
سَرَقَ الأرض من بين عيني
والصمتُ يُطلقُ ضحكته الساخرة !

(٩)

لا تصالح ،

ولو وَقَفْتَ ضدَّ سَيْفِكَ كُلِّ الشيوخ ،
والرجالُ التى ملأها الشروخ ،
هؤلاء الذين يُحِبُّونَ طعمَ التريّد ،
وامتنطاء العبيد ،

لم يكن فى يدي حربة ،
أو سلاح قديم ،
لم يكن غيرُ غيظي الذى يتشكّى الظما .

(٨)

لا تصالح ،

إلى أن يعودَ الوجودُ لدورته الدائرة :
التجوّم .. لمقاتبتها
والطيور .. لأصواتها
والرمال .. لذراتها
والقتيلُ لطفلته الناضرة .
كلُّ شيءٍ تحطّمُ فى لحظةٍ عابرة :

الصبا — بهجة الأهلِ صوتُ الحصان — التعرفُ بالضيف — مهمةُ
القلب حين يرى برعماً فى الحديقة يندى — الصلاةُ لكى ينزلَ المطرُ
الموسمى — مراوغة القلب حين يرى طائرَ الموت
وهو يرفرف فوق المبارزة الكاسرة .

كلُّ شيءٍ تحطّمُ فى نزوةٍ فاجرة .
والذى اغتالنى : ليس ربّاً ..

هؤلاء الذين تدلّت عمائمهم فوق أعينهم ،
وسيوفهم العريئة قد تسيب سنوَاتِ الشموع
لا تصالّح ،

فليس سوى أن تريث .

أنت فارسُ هذا الزمانِ الوحيد
وسواك .. المسوخ !

((١٠))

لاتصالّح
لاتصالّح !

« فلما جاءت الوفود ساعية الى الصلح ، قال لهم الأمير سالم
أصالح اذا صالحت الإمامة . فقصدت الى الإمامة أمها الجليلة ومن معها
من نساء سادات القبيلة ، فدخلن إليها ، وسلمن جميعاً عليها ، وقبل
الجليلة بنتها وقالت : أما كفى ؟ فقد هلك رجالنا وساعت أحوالنا
وماتت فرساننا وأبطالنا . فأجابتها الإمامة : أنا لا أصالح ، ولو لم يبق »
أحد يقدر أن يكافح .. »

نوفمبر « تشرين الثاني » ١٩٧٦

هِيَ الشَّمْسُ ، تِلْكَ الَّتِي تَطْلُعُ الْآنَ ؟
 أَمْ أَنَّهَا الْعَيْنُ — عَيْنُ الْقَتِيلِ — الَّتِي تَتَأَمَّلُ شَاخِصَةً :
 دَمَهُ يَتَرَسَّبُ شَيْئاً فَشَيْئاً ..
 وَيَخْضَرُ شَيْئاً فَشَيْئاً ..
 فَتَطْلُعُ مِنْ كُلِّ بَقْعَةٍ دَمٌ : فَمِ قَرْمَزَى ..
 وَزَهْرُهُ شَرٌّ ..

وَكُفَّانٍ قَابِضَتَانِ عَلَى مَنْجِلٍ مِنْ حَدِيدٍ ؟
 هِيَ الشَّمْسُ ؟ أَمْ أَنَّهَا النَّاجِ ؟
 هَذَا الَّذِي يَتَقَلُّ فَوْقَ الرُّؤُوسِ إِلَى أَنْ يَعُودَ
 إِلَى مَفْرَقِ الْفَارِسِ الْعَرَبِيِّ الشَّهِيدِ ؟

... ..

أَقُولُ لَكُمْ : أَيُّهَا النَّاسُ كُونُوا أَنَاساً !
 هِيَ النَّارُ ، وَهِيَ اللِّسَانُ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِالْحَقِّ !
 إِنَّ الْجُرُوحَ يَطْهَرُهَا الْكَيُّ ،
 وَالسِّيفَ يُصْقِلُهُ الْكَثِيرُ ،
 وَالْخَبَرَ يُنْضِجُهُ الْوَهْجُ ،

أَبَى .. لَا مَزِيدَ !
 أَرِيدُ أَيْ ، عِنْدَ بَوَابَةِ الْقَصْرِ ،
 فَوْقَ حِصَانِ الْحَقِيقَةِ ،
 مُنْتَصِباً .. مِنْ جَدِيدٍ
 ...

وَلَا أَطْلُبُ الْمُسْتَحِيلَ ، وَلَكِنَّهُ الْعَدْلُ :
 هَلْ يَرِثُ الْأَرْضَ إِلَّا بَنُوهَا ؟
 وَهَلْ تَتَنَاسَى الْبَسَاتِينُ مِنْ سَكْنُوها ؟
 وَهَلْ تَتَنَكَّرُ أَغْصَانُهَا لِلْجُنُودِ ..
 (لَا الْجُنُودَ تَهَاجِرُ فِي الْإِتِّجَاهِ الْمَعَاكِسِ ؟ !)
 هَلْ تَتَرْتَّمُ قِيَارَةُ الصَّمْتِ ..

إِلَّا إِذَا عَادَتْ الْقَوْسُ تَفْرَعُ أَوْتَارَهَا الْقَضِيَّةَ ؟
 وَالصُّدْرُ ! حَتَّى مَتَى يَتَحَمَّلُ أَنْ يَجْسِسَ الْقَلْبَ ..
 قَلْبِي الَّذِي يَشْبَهُ الطَّائِرَ الدَّمَوِيَّ الشَّرِيدَ ؟

... ..

لاتدخلوا معمدانية المياء ...

بل معمدانية النار ..

كونوا لها الحطب المشتته والقلوب : الحجارة ،

كونوا .. الى أن تعود السماوات زرقاء ،

والصحراء بشولا ..

تسير عليها النجوم محملة بسلال الورود .

... ..

أقول لكم : لا نهاية للنوم ..

هل في المدينة يضرب بالبورق ، ثم يظل احد

على سرير النوم ؟

هل يرفع الفخ من ساحة الحقل .. كنى تطمئن العصب

ان الحمام المطوق ليس يقدم بيضته للثعابين ..

حتى يسود السلاء

فكيف أقدم رأس أى ثمنا ؟

من يطالبني أن أقدم رأس أى ثمنا .. تمر القوافل آمنة

وتبيع بسوق دمشق : حريرا من الهند ،

أسلحة من بخارى .

وتبتاع من بيت جالا العبيد

« مرالى الجامعة »

صار ميراثنا في يد الغرباء .

وصارت سيوف العدو : مقوف منازلنا .

نحن عباد خمس بشير بأوراقه نخو أزوقة الظل .

إن التوبخ الذى يتناول :

يخزق هامته السقف ،

يخطر قامته السيوف ،

إن التوبخ الذى يتناول :

يسقط في دمه المنسكب !

نستقى — بعد خيل الأجانب — من مياء أبارنا .

صوف حملاننا ليس يلتف إلا على مغزل الجزية .

النار لاتوهج بين مضاربنا .

بالميون الخفيفة نستقبل الضيف .

أبكارنا ثبات ..

وأولادنا للفرش ..

ودراهمنا فوقها صورة الملك المُعْتَصِب .

أيادي الصبايا الخنائن تَضُمُّ على صدره نصف ثوب .
وتَبْقَى عيُونُ كليپ مسمرة في شواشي الجنائن .

أسائل :

من للصغار الذين يَطْرُونَ — كالنحل — فوق التلال ؟

ومن للعذارى اللواتي جَعَلْنَ القلوب :

قوارير تحفظ رائحة البرتقال ؟

ومن سيروصُ مَهَر الخيال ؟

ومن سيضمَّدُ — في آخر الصيد — جُرَح الغزال ؟

ومن للرجال ..

إذا قيل : ما نسبُ القوم ؟ ...

فانكبت في خلود الرمال دموع السؤال ؟

بنات أوى — الزهراء الصغيرات — يسألنني

لم أبكى أبى !

بكمين مثل ،

ويخلدن للتوهم حين أغالب دمعى ،

وأروي لهن الحكايا

عن المَلِكِ النسر

والملكِ الثعلب

فإن يَمَنَّ .. جاء أوى .. ليهز الأراجيح ..

يلمس وجناهن ..

ويعطى لمن اللعب ..

ومضى .. وعيناه مسبلتان ..

وساقاه تشتكيان التعب ..

أبى ظامى يارجال

أريقوا له الدم كي يرتوى .

وصبوا له جرعة جرعة في الفؤاد الذى يكتوى

عسى دمه المتسرب بين عروق النباتات ،

بين الرمال ..

يعود له قطرة قطرة ..

فيعود له الزمن المنطوى .

.....

خصومة قلبي مع الله .. ليس سواه
أبى أخذ الملك سيفاً لسيف ، فهل يؤخذ الملك
منه اغتيالاً ،

وقد كللته يدا الله بالتاج ؟ !

هل تنزع التاج إلا البدان المباركان ،

وهل هان ناموسه في البيته

حتى يتوج لص .. بما سرقته يداه ؟

خصومة قلبي مع الله ..

إني أنزه سهم منيته أن يحمي من الخليف ،

إن الذي يطلق السهم ليس هو القوس ..

بل قلب صاحبه ،

والذي يجعل النفس تستقبل الموت راضية .. تبلى واهبه

فأنا أرفض الموت غدراً ..

فهل نزل الله عن سهمه الذهبي لمن يستهين به .

هل تكون مكان أصابعه .. بصمات الخطاه ؟

خصومة قلبي مع الله .. ليس سواه !

كليب يموت ..

ككليب تصادفه في الفلاة ؟

إذن فلماذا كسا وجهه الصورة الآدمية ؟

هل كرم الله إنسانه ؟

مات من مات كلباً .. فأين إذن ذهب الآدمي الذي

قد برأه ؟

خصومة قلبي مع الله

قلبي صغير كفتقه الحزن .. لكنه في الموازين

أثقل من كفة الموت

هل عرف الموت فقد أبيه ،

هل اغترف الماء من جلول الدمع ،

هل ليس الموت ثوب الحيداد الذي حاكه .. ورماه ؟

خصومة قلبي مع الله

أين وريث أبي ؟

ذهب الملك ،

لكن لاسم أي حق أن يتناقله أبته عنه

فكيف يموت أبي مرتين ؟

أينها الأنجم المتلونة الوجه :

قولى له :

قد سلبت حياتين ..

أبقى حياة ..

ورُدَّ حياة ..

خصومة قلبي مع الله .

هذا الكمال الذى خلق الله هيأته ،

فكسا العظم بالذبح ،

ها هو : جسماً — يعود له — دون رأس ،

فهو تقبل يوب. النبي ما شابه العيب ،

أم أن وجه العدالة :

أن يرجع الشئ للأصل ،

أن يرجع البعد للقبل ،

أن ينهض الجسد المتمزق مكتمل الظل

حتى يعود إلى الله .. متحداً في بهاء ؟

(٣)

يجيء أخى

هل عباءة الريح ؟

هل سيفه السرق ؟

هل يتمنطق فوق جوار السحاب ؟

يجيء أخى !

غافلاً عن كتاب الموارث

عن دمو الملكى ،

عن الصولجان الذى صار مقبضه العاج :

رأس غراب !

يجيء أخى .

(كان يعرفه القلب !)

أقذف تفاحة

يتصدى لها وهو يطحنها بالركاب !

(هى الخطأ البشرى الذى حرم النفس فردوسها

الأول المستطاب)

أتنى ، فأقذف تفاحة ..

تستقر على رأس حوته !

(أيها الوطن المستدير .. الذى تنقب الحرب عذره

بالحراب)

.. وتفاحة تلتفها يده !

(هى جوهره الملكى ،

جوهره المعدل ،

جوهره الحب ..

فالحب آب !

... ..

قلوب ثلاثة شارة الزمن القادم المستجاب

قفوا يا شباب !

لن جاء من رحم الغيب ،

تحاض بساقيه في بركة الدم ،

لم يتأثر عليه الرشاش ،

ولم تبد شائبة في الثياب !

قفوا للهلال الذي يستدير ..

ليصبح هالات نور على كل وجه وباب !

قفوا يا شباب !

كليب يعود ..

كعقلاء قد أحرقت ريشها

لتظل الحقيقة أبهى ..

ورجع حلتها - في سنا الشمس .. أزهى ..

وتفرّد أجنحة الغيد ..

فوق مدائن تنهض من ذكريات الخراب !!

« أشارات تاريخية »

لبسوس :

هي المرأة التي أثارت الفتنة بين قيس ، وأشعلت الحرب أربعين سنة ، وأثارت بنى بكر على بنى تغلب ، وحملت اسمها الملحمة . وهو كما تقول الرواية (شاعرة عجوز من عجائب الزمان ، ذات مكر واحتيال وخداع) . وكان لها أربعة أسماء (سعاد .. تاج بخت .. هند . لبسوس) وهي أخت الملك حسان التميمي الذي قتله الأمير كليب م أجل أنه عمه وخطيبته الجليلة .

كليب بن ربيعة :

اسمه وائل وكليب لقبه ، نشأ في حجر أبيه ، ودرب على الحرب ، ثم تولى قيادة الجيش لبكر وتغلب زمنا .. « فكان ليث الصدام بينه واليالى كما تقول الرواية .

لجيلة بنت مرة :

وقد اختصمت مع امها لانها أخت قاتل كليب .. حتى رحله
لجيلة مع قومها .

شاعره .. أهنة عم كليب وزوجته التي انجبت له سبعة بنات
ولد بعد موته هو (المجرس) البطل المنتقم لأبيه .

وبعد مقتل زوجها كليب على يد أخيها حساس خرجت من
غلب وتنقلت مع بنى شيبان قومها مدة حروبهم حتى ماتت .

سامة :

كبرى بنات كليب .. تقول الرواية انها رفضت الدية في أبيه
فانت تقول :

« أنا لا أصالح حتى يقوم والدي
ونسره راكب يهد لقاكم »

عندما أعلنته النجامة وصية أيها قال : انى لا اصالح الى الابد ما
دامت روحي فى هذا الجسد .

ساسن بن صرة :

ابن عم لكليب وقاتله بعد ان نجحت البسوس (التى اقامت و
يباقه) فى أن تثير الفتى : بأن أمرت عبيدها أن يطلقوا ناقةها الجرد ،
فى فى البستان المعروف بحى كليب . وتدمر الأشجار والأسوار ..
تلى أمر كليب بذبح الناقة . ويقال أن جساسا هو آخر قتيل و
رب البسوس التى استمرت منذ مقتل كليب وحتى مصرع جساس
مين عاما .

لهل بن ربيعة :

هو سالم الملقب بالزير أو أبو ليلى المهلهل الكبير .. أخو
جيب وبطل السيرة والملحمة .. يصفه الرواه : (بالاسد الكرار والبض
الغوار صاحب الاشعار البديعة والوقائع المهولة المريعة) .

« تذييل »

« حاولت أن أقدم في هذه المجموعة حرب البسوس التي استمر أربعين سنة عن طريق رؤيا معاصرة .

وقد حاولت أن أجعل من كليب رمزا للمجد العرفي القتييل للأرض العربية السلبية التي تريد أن تعود الى الحياة مرة أخرى ولا سبيلا لعودتها أو بالأحرى لاعادتها الا بالدم .. وبالندم وحده ..

وهذه المجموعة عبارة عن قصائد مختلفة ، استحضرت شخصيات الحرب وجعلت كلا منها يدلي بشهادتها التاريخية حول رفض الخاصة .. ومن الطبيعي أن يكون لكل من هذه الشخصيات شهادته المختلفة عن شهادة الأخرى ..

لقد استحضرت الملك كليب نفسه في ساعاته الأخيرة ، وأدلت الجمامة التي كانت ترفض الصلح بشهادتها وكذلك فعل المهلهل الذي قاد الحرب انتقاما له .. وقدمت شهادة جساس مع تزييناته الجريئة ..

شهادة جلييلة بنت مرة الممزقة بين البطلين .. « زوجها وأخذها » ثم أتيت بشهادات لبعض الشخصيات التي تلعب دورا معلقا على الأحداث ..

أمل دنقل

عن مجلة آفاق عربية ١٩٨١

والديوان بصورته الاخيرة هذه .. يحتوى على شهادتين قصيدتين فقط هما : « الوصايا العشر ، وأقوال الإمامة ومراثيها » وقد كتبت قصائده ما بين (١٩٧٦ — ١٩٧٧) .

أما الشهادات (القصائد) الأخرى التى تحدث عنها أمل فقد ظلت تتبدل وتتغير يوما بعد آخر ، رافضة الوصول إلى حل يقنع الشاعر باكتمالها النهائي ، ذلك على الرغم من اكتمال اجزاء كثيرة منها وذاكرة الشاعر (الذى لا يسجل قصيدته على الورق إلا بعد أن يقنع باكتمالها الأخير)

ومات أمل قبل أن تكتمل شهاداته (قصائده) فىذهب المبدع ، وقيل أن يقنع ذهنه المبدع بصيغه ابداعية أخيرة ، وقيل أن ينتقم الزهر لمقتل أخيه كليب ، وقيل أن تضع الحروب اوزارها ، لنضج الرؤيا باحثة عن حل يكتمل فى الابداع ، أو يتحقق فى الواقع .

* * *

أوراق الغرفة [٨]

عم صباحاً أيها الصقر المَجْنَعُ
عم صباحاً .
سنة تمضي ، وأخرى سوف تأتي .
فمتى يقبل موتى ..
قبل أن أصبح — مثل الصقر —
صقراً مستباحاً ؟!

بكائية لصقر قريش

الورقة الأخيرة الجنونى

صورة

هل أنا كنت طفلاً ..
أم ان الذى كان طفلاً سوى ؟
هذه الصور العائلية ..
كان أبى جالساً ، وأنا واقف .. تتدل يداى !

رفسة من قَرَس
فَرَسَتْ فى جينى شجاً ، وعَلِمَتِ القلب أن يحترس .
أتذكر ...
سال دى
أتذكر ..
مات أبى نازفاً .

أتذكر ..
هذا الطريق إلى قبره ..
أتذكر ..
أختى الصغيرة ذات الريعين .
لا أتذكر حتى الطريق إلى قبرها
المنطمس

أو كان الصبى الصغير أنا ؟
أم ترى كان غيرى ؟
أحذف ..
لكن تلك الملاح ذات العنوبة .
لا تنتمى الآن لى .
والعيون التى تترقرق بالطيبة
الآن لا تنتمى لى .
صرت عنى غريباً .
ولم يتبق من السنوات الغريبة
إلا صدى اسمى ..

وأسماء من أتذكّزهم — فجأة —

بين أعمدة النعْى ،

أولئك الغامضون : رفاق صباى .

يقبلون من الصمت وجهاً فوجها ..

فيجتمع الشبل كل صباح ،

لكى نأتس .

وجه

كان يسكن قلبى

وأسكن غرفته

نتقاسم نصف السرير ،

ونصف الرغبة ،

ونصف اللقافة ،

والكتب المستعارة .

هجرته حبيبته فى الصباح فمزق شريانه فى المساء ،

ولكنه بعد يومين مَزَّقَ صورتها ..

واندهش .

لم ينخدش .

واستراح من الحرب ..

عاد ليسكن بيتا جديداً

ويكسب قوتا جديداً

يدخن علبة تبغ بكاملها

ويمجادل أصحابه حول أبحرة الشاى ..

لكنه لا يطيل الزيارة :

عندما احتقنت لوزتاه ، استشار الطبيب ،

وفى غرفة العمليات ..

لم يصلح أحدٌ غير نُحْفٍ ..

وأنبوبة لقياس الحرارة ،

فجأة مات !

لم يحتمل قلبه سريان المخدر ،

وانسحبت من على وجه سنوات العذابات ،

عاد كما كان طفلاً ..

صار نصف الصحيفة كل الغطاء
وأنا .. في العراء

وجه

ليت « أسماء » تعرف أن أباه صعد
لم يمض
هل يموت الذي كان يحيا
كأن الحياة أبد !
وكان الشراب نفذ !
وكان النبات الجميلات يمشين فوق الزبد !
عاش منتصباً ، بينا
ينحنى القلب يبحث عما فقد .
ليت « أسماء » تعرف أن أباه الذي ..
حفظ الحب والأصدقاء تصاويره : .
وهو يضحك ،

بشاركتي في سريري
وفي كسرة الخبز ، والتبغ ،
لكنه لا يشاركتي .. في المرارة !

وجه

من أقاصي الجنوب أتى ، عاملاً
للبناء
كان يصعد « سقالة » ويغني لهذا الفضاء
كنت أجلس خارج مقهى قريب ،
وبالأعين الشاردة ..
كنت أقرأ نصف الصحيفة ،
والنصف أخفى به وسخ المائدة .
لم أجد غير عيتين لا تبصران ..
وخيط الدماء .
وانحنيت عليه .. أجس يده
قال آخر : لا فائدة

وهو يفكرُ ،

وهو يفتش عما يقيم الأود .

ليت « أسماء » تعرف أن البنات الجميلات ..

تجبانه بين أوراقهن ،

وعلمته أن يسير ..

ولا يلتقى بأحد !

مرآة

— هل تريد قليلاً من البحر ؟

— إن الجنوى لا يطعمن إلى اثنين يا سيدى :

البحر — والمرأة الكاذبة .

— سوف آتيك بالرمل منه

... وتلاشى به الظل شيئاً فشيئاً ،

فلم أستبته

— هل تريد قليلاً من الخمر ؟

— إن الجنوى يا سيدى يتهبب شيئين :

قنينة الخمر — والآلة الحاسبة .

— سوف آتيك بالثلج منه .

وتلاشى به الظل شيئاً فشيئاً ...

فلم أستبته .

بعدها لم أجد صاحبي

لم يعد واحد منهما لى بشئ

— هل تريد قليلاً من الصبر ؟

— لا ..

فالجنوى يا سيدى يشتهى أن يكون الذى لم يكن

يشتهى أن يلاقى اثنين :

الحقيقة — والأوجة الغائبة .

ضد من

يَأْتِي الْمَعْرُونُ مَتَشَحِّينَ ..

بِشَارَاتِ لَوْنِ الْحَدَادِ ؟

هَلْ لِأَنَّ السَّوَادَ ..

هُوَ لَوْنُ النِّجَاحِ مِنَ الْمَوْتِ ،

لَوْنُ التَّحِيمةِ ضِدَّ .. الزَّمَنِ ،

ضِدَّ مَنْ .. ؟

وَمَتَى الْقَلْبُ — فِي الْخَفَقَانِ — أَطْمَأَن ؟

بَيْنَ لَوْنَيْنِ : أَسْتَقْبِلُ الْأَصْدِقَاءَ ..

الَّذِينَ يَرُونَ سِرْمِيَّ قَبْرًا

وَحَيَاتِي ... دَهْرًا

وَأُرَى فِي الْعَيُونِ الْعَمِيقَةِ

لَوْنَ الْحَقِيقَةِ

لَوْنَ تَرَابِ الْوَطَنِ !

فِي غُرُفِ الْعَمَلِيَّاتِ ،

كَانَ نِقَابُ الْأَطَاءِ أَيْضُ ،

لَوْنُ الْمَعَاطِفِ أَيْضُ ،

تَاجُ الْحَكِيمَاتِ أَيْضُ ، أَرْدِيَةُ الرَّاهِبَاتِ ،

الْمَلَأَاثُ ،

لَوْنُ الْأَسْرَةِ ، أَرْبَطَةُ الشَّاشِ وَالْقَطَنِ ،

قِرْصُ الْمَنُومِ ، أَنْبُوبَةُ الْمَصَلِ ،

كُوبُ اللَّبَنِ .

كُلُّ هَذَا يَشْتَعُّ بِقَلْبِي الْوَهْنَ .

كُلُّ هَذَا الْبَيَاضُ يَذْكُرُنِي بِالْكَفْرِ !

فَلِمَاذَا إِذَا مَثُ ..

زهور

ثم أفاقت على غرضيها في زجاج الدكاكين ، أو بين أيدي
المنادين ،

حتى اشتريتها اليد المتفضلة العابرة
تحدث لي ..

كيف جاءت اليّ ..

(وأحزائها الملكية ترفع أعناقها الخضر)

كي تمنى لي العمر !

وهي تجود بأنفاسها الآخرة !!

كل باقة ..

بين إغماء وإفاقة

تتنفس مثلي — بالكاد — ثانية .. ثانية

وعلى صدرها حملت — راضية ..

اسم قاتليها في بطاقة !

وسلاي من الورد ،

ألمحها بين إغماء وإفاقة

وعلى كل باقة

اسم حاملها في بطاقة

... ..

تحدث لي الزهراء الجميلة

أن أعينها اتسعت — دهشة —

لحظة القطيف ،

لحظة القصيف ،

لحظة إعدامها في الخميعة !

تحدث لي ..

أنها سقطت من على عرشها في البساتين

فالتصقت بي أضلاعه

والجماد يضم الجماد ليحييه من مواجهة الناس !

صيرت أنا والسريـر ..

جسداً واحداً .. في انتظار المصير !

(طول الليالـ الألف

والأذرعـ المعدنـ

تلتف وتمكنـ

في جسدى حتى النزفـ

صيرت أقدر أن أتقلب في نومتى واضطجاعى

أن أحرك نحو الطعام ذراعى ..

واستبان السريـر يـداعى ..

فارتعش !

وتداخل — كالتنفـذ الحجرى — على صمته وانكمشـ

قلت : يا سيدى .. لم جافيتنى ؟

قال : ها أنت كلمتى ..

وأنا لا أجيـب الذين يمرون فوقـ

أوهمنى بأن السريـر سريـرى !

أن قاربـ « رغـ »

سوف — يحملنى عبر نهر الأفاعى

لأولد في الصبح ثانية .. إن سَطَعَ

(فوق الورق المصقولـ

وضعوا رقمى دون اسمـ

وضعوا تذكرة الدمـ

واسم المرض المجهولـ)

أوهمنى فصددتـ ..

(هذا السريـر

ظننى — مثله — فاقد الروحـ

سوى بالانين

فالأسرة لا تستريح إلى جسد دون آخر
الأسرة دائمة

والذين ينامون سرعان ما يمزلون

نحو نهر الحياة لكي يسبحوا

أو يفوصوا بنهر السكون !

لعبة النهاية

في الميادين يجلس ،

يطلق — كالطفل — نبلته بالخصي ..

فيصطلي بها من يصيب من السابلة !

يتوجه للبحر ،

في ساعة المد :

يطرح في الماء سنارة الصيد ،

ثم يعود ..

ليكتب أسماء من علقوا

في أحاييله القاتلة !

لا يحبُّ البساتين ..

لكنه يتسلل من سورها المتآكل ،
يصنع تاجاً :

جواهره .. الثمر المتعفن ،
إكليله .. الورق المتفضن ،
يلبسه فوق طوق الزهور

الخريفية
الذابلة !

يتحول : أفعى .. ونايا
فيرى في المرايا ::

جسدين وقلبين متحدثين ،
(تَغِيْمُ الزوايا
وتحكى العيون حكايا)
فينسل بينهما ..

مثل خيط من العرق المتفصّل ،
يلعق دماء مسامهما ،
يفرس الناب في موضع القلب :
تسقط رأس الفتى في الغطاء ،

وتبقى الفتاة ..

محدقة

ذاهلة .. !

أمس : فاجأته واقفا بجوار سريري
ممسكاً — بيد — كوب ماء
ويده — محبوب الدواء
فتناولتها .. !
كان مبتسماً
وأنا كنت مستسلماً
لمصري !!

عن لذة الاغتراب
وعبودية الأغصن الثابتة .

(٢)

أخذوا أصدقائي للسجن ،
لكنهم في ليالي الحنين
يقبلون ، لنشرب كأسين ..
في البار ذى الردهة الخالية
فاذا دقت الساعة الثانية

صفق الخدم المتعبون
فاختفى أصدقائي وهم يضحكون
— نلتقى ثانية
— نلتقى الليلة التالية ..

... ..

بعدها خرجوا : انقطع الخيط ما بيننا
واستطال السكون
كان ما بينهم : ذكريات .. وخبز مرير
ومسحة حزن

ديسمبر

(١)

تنساقط أوراق « ديسمبر » الباهتة !

... ..

هو غمّر من الريح
(هذا الذى بين أن تترك الورقة الغصن
حتى تلامس أطرافها حافة الأرض)
عمر من الاضطراب
فافتش جوارى — أيتها الباحثات عن الذات —
وجه التراب
وتعالين .. نرو الأفاصيص ..
عن راحة الروح

قلت : ها أصبحوا ورقا ثابتا في شجرة سجن
فمتى يفلتون
من الزمن المتوقف في ردهات الجنون ؟

(٣)

هاهو الرُحُّ ذو الخليلين يحوم ..
ليحمل جثة ديسمير الساخنة
ها هو الرخ يهبط ..
والسحب تلقى على الشمس طرحتها الداكنة

قالت الراهبات :

(سلام على الأرض !)

يا أيها الرُحُّ : كم جثة حملتها خالك الأبدية خلف الجبل ؟؟
ما الذي نحن نعطيك — يا أيها الرخ — منذ الأزل ؟

ما الذي نحن نعطيك ؟

لا شيء إلا تواييت ، لا شيء ،
إلا المبادلة الخائبة .

جثث تتراكم في الضفة الساكنة

بينما نحن — نمتلك النور
عشب البحيرات — صوت الكناريات —
مجالسة الورد — أنشودة المهد — رقص
البنات الصغيرات في العرس — تمتمة
القط في الصلوات — بحر النايين —
هذا التساؤل عن لون عيني عاشقتين ،
كنافذتين على البحر — طعم القبل ؛
بينما أنت من ظلمة العدم الآسنة
تتلقى النفايات تلو النفايات دون كلل
عاجزا عن ملازمة الفرح العذب ،
عن أن تبل جناحك في مطر القلب
أن تتطهر بالركة الفاتنة !!

(٤)

قلت للورق المتساقط من ذكريات الشجر
إننى أترك الآن — مثلك — بيتي القديم
حيث تلقى بي الريح أرسو —

وليس معي غيرُ :

حزنى المقيم
وجوازُ السفر !

الطيور

(١)

الطيورُ مشردةٌ في السمواتِ ،
ليس لها أن تحط على الأرض ،
ليس لها غير أن تتقاذفها فلوأثُ الرياح !
ربما تنزلُ ...
كفى تستريحُ دقائق ..
فوق النخيل — النجيل — التماثيل —
أعمدة الكهرباء —
حواف الشبايك والمشريات
والأسطح الخرسانية .
(اهدأ ، ليلتقط القلبُ تنبئةً ،

والفمُ العذبُ تغريدةً ،

والقط الرزق ..)

سرعان ما تنفزعُ ..

من نقلة الرجل ،

من نبلة الطفل ،

من ميلة الظل عبر الحوائط ،

من حصوات الصياح !

..

الطيورُ معلقةٌ في السمواتِ

ما بين أنسجة العنكبوت الفضائي : للريج

مرشوقةٌ في امتداد السهام المضئية

للشمس ،

(رفرف ..

فليس أمامك —

والبشر المستببحون والمستباحون : صاحون —

ليس أمامك غير الفراز ..

الفراز الذي يتجدد .. كل صباح !)

(٢)

والطيورُ التي أقعدتها مخالطةُ الناس ،

مرّت طمأنينة العيش فوق مناسيرها ..

فانتحنت ،

وبأعينها .. فارتحنت ،

وارتضت أن تقاؤ حول الطعام المتأخ

ما الذي يبقى لها .. غير سكينه الذبيح ،

غير انتظار النهاية .

إن اليد الآدمية .. واهبة القمح

تعرف كيف تسن السلاح !

(٣)

الطيورُ .. الطيورُ

تحتوى الأرضُ جثمانها .. في السفوت الأخير !

والطيور التي لا تطير ..

صوت الريش ، واستسلمت

هل ترى علمت

أن عمر الجناح قصير .. قصير !

الجنأُ حفاة
والجنأُ ردى .
والجنأُ نأاة ..
والجنأُ .. سدى !

الآفول

(١)

الفتوحأ — فى الأرض — مكنوبة بدماء الآفول .
وآءو الممالك
رسمأ السناىك .
والركابان : مزان عءل ىمل مع السلف ..
أى ىمل !

.. .

أركضى أو قفى الآن .. أأها الآفل :
لسأ المأراأ صأأا
ولا العاءاأ — كأ قبل — صأأا

ولا خضرة في طريقك تحي
ولا طفل أضحي

إذا ما مروت به .. يتحي ؛
وها هي كوكبة الحرس الملكي ..
تجاهد أن تبعث الروح في جسد الذكريات
بدق الطبول .

اركض كالسلاحف
نحو زوايا المتاحف ..
صيرى تمائيل من حجر في الميادين
صيرى أراجيح من خشب للصغار — الرياحين ،

صيرى فوارس حلوى بموسمك النبوي ،
وللصبية الفقراء : حصاناً من الطين
صيرى رسوماً .. ووهماً
تجف الخطوط به
مثلما جف — في رثيك — الصهيل !

(٢)

كانت الخيل — في البدء — كالناس

برية تتراكم عبر السهول

كانت الخيل كالناس في البدء ...
تمتلك الشمس والعشب
والملكوت الظليل

ظهرها .. لم يوطأ لكي يركب القادة الفاتحون ،
ولم يلمن الجسد الحر تحت سياط المروض
والفم لم يمتل للجام ،
ولم يكن الزاد .. بالكاد ،
لم تكن الساق مشكولة ،
والخوافر لم يك مثقلها السنبك المعدني الصقيل .

كانت الخيل برية
تتنفس حرية
مثلما يتنفسها الناس

وفي ذلك الزمن الذهبي النبيل

..

اركضى... أو قفى
زمن يتقاطع
واختبرت أن تذهبي في الطريق الذى يتراجع
تنحدر الشمس
ينحدر الأمس
تنحدر الطرق الجبلية للهوة اللانهائية :
الشهب المتفحمة
الذكريات التى أشهرت شوكرها كالتفازيد
والذكريات التى سلخ الخوف بشرتها .
كل نهر يحاول أن يلمس القاع
كل النياييع إن لمست جدولاً من جداولها

تختفى

وهى .. لا تكتفى !

فاركضى أو قفى

كل درب يقودك من مستحيل إلى مستحيل !

(٣)

الخيوّل بساطً على الريح ..
سار — على متنه — الناس للناس عبر المكان
والخيوّل جدارً به انقسم
الناس صنفين :

صاروا مشاة .. وركبان
والخيوّل التى انحدرت نحو هوة نسيانها
حملت معها جيل فرسانها
تركت خلفها : دمة الندم الأبدى
وأشباح خيل
وأشباح فرسان

ومشاة يسرون — حتى النهاية — تحت ظلال الهوان .

أركضى للقرار

وأركضى أو قفى في طريق الفرا .

تساوى محصلة الركض والرفض في الأرض ،

ماذا تبقى لك الآن ؟

ماذا ؟

سوى عرق يتصبّب من تعب

يستحيل دنائير من ذهب

في جيوب هُوّة سلااتك العربية

في حلبات المراهنة الدائرية

في نزهة المركبات السياحية المشتبهة

وفي المتعة المشتركة

وفي المرأة الأجنبية تعلوك تحت

ظلال أنى الهول ..

(هذا الذى كسرت أنفه

لعنة الانتظار الطويل)

استدارت — إلى الغرب — مزولة الوقت

صارت الخيل ناساً تسير إلى هُوّة الصمت

بينما الناسُ خيلٌ تسير إلى هوة الموت !

جاء طوفانُ نوح !

... ..

المدينة تفرّق شيئاً .. فشيئاً

تفرّ العصافير ،

والماء يعلو .

على درجات البيوت — الحوانيت — مبنى البريد —

التمائيل (أجدادنا الخالدين) — المعابد — أجولة القمح

مستشفيات الولادة — بوابة السجن — دار الولاية —

أروقة الشككات الحصينة .

العصافير تجلو ..

رويداً ..

رويداً ..

ويطفو الإوزُ على الماء ،

يطفو الأثاث ..

ولعبة طفل ..

وشهقة أم حزينة

الصبايا يلوحن فوق السطوح !

باء طوفان نوح .

ا هم الحكماء « يفرون نحو السفينة

المغنون — سائس خيل الأمير — المرابون —

قاضي القضاة

.. ومملوكه ! —

فامل السيف — راقصة المعبد

(ابتهجث عندما انتشلت شعرها المستعار)

— جباة الضرائب — مستوردو شحنات السلاح —

شقيق الأميرة في سمتة الأتوى الصبوح !

ماء طوفان نوح .

ا هم الجبناء يفرون نحو السفينة .

بما كنت ..

كان شباب المدينة

يلجمون جواد المياه الجموح

ينقلون المياه على الكتفين .

ويستبقون الزمن

يبتون سلود الحجاره

علهم ينقلون مهاذ الصبا والحضارة

علهم ينقلون .. الوطن !

.. صاح في سيد الفلك — قبل حلول

السكينة :

« انج من بلد .. لم تعد فيه روح ! »

قلت :

طوى لمن طعموا خبزه ..

في الزمان الحسن

وأداروا له الظهر

يوم المحن !

ولنا المجد — نحن الذين وقفنا

(وقد طمس الله اسماءنا !)

نتحدى الدمار ..
ونأوى إلى جبل لا يموت

(يسمونه الشعب !)

نأى الفرار ..
ونأى النزوح !

... ..

... ..

... ..

كان قلبى الذى نسجته الجروح
كان قلبى الذى لعنته الشروح
يرقد — الآن — فوق بقايا المدينة
وردة من عطن

هادئا ..

بعد أن قال « لا » للسفينة
.. وأحب الوطن !

خطاب غير تاريخي على قبر صلاح الدين

ها أنت تسترخى أخيرا ..
فوداعاً ..

يا صلاح الدين .
يا أيها الطبل البدائي الذى تراقص الموق
على إيقاعه المجنون .

يا قارب الفلين
للغرب الفرق الذين شتتهم سفن القراصنة
وأدركتهم لعنة الفراعنة .
وسنة .. بعد سنة ..

صارت لهم « حطين » ..
تميمة الطفل ، واكسير الغد العنيد

(جبل التوباد حيّاك الحيا)
(وسقى الله ثراننا الأجنبي !)

مرّت خيول الترك
مرّت خيول الشرك
مرّت خيول الملك — النسر ،
مرّت خيول التتر الباقي
ونحن — جيلا بعد جيل — في ميادين المراهنة
نموت تحت الأحصنة !
وأنت في المذيع ، في جرائد التهوين
تستوقف الفارين
تخطب فيهم صائحا : « حطين » ..
وترتدى العقال تارة ،
وترتدى ملابس الفدائيين
وتشرب الشاي مع الجنود
في المعسكرات الحشنة
وترفع الراية ،

حتى تسترد المدن المرهنة
وتطلق النار على جوادك المسكين
حتى سقطت — أيها الزعيم
واغتالتك أيدي الكهنة !
(وطني لو شغلّت بالخلد عنه ..)
(نازعتني — لمجلس الأمن — نفسي !)

ثم يا صلاح الدين
ثم .. تتدلى فوق قبرك الورود ..
كالملطيين !
ونحن ساهرون في نافذة الحنين
نقشّر التفاح بالسكين
ونسأل الله « القروض الحسنة » !
فاتحة :
أمين .

بكائية لصقر قريش

عَمَّ صباحاً .. أيها الصقر المُنَجِّع
عَمَّ صباحاً ..

هل ترقبت كثيراً أن ترى الشمسَ
التي تغسلُ في ماء البحيرات الجراحا
ثم تلهو بكرات الخليج ،

تستلقى على التربة ،
تستلقي .. وتلفح !

هل ترقبت كثيراً أن ترى الشمسَ .. لتفرخ
وتسد الأفق للشرق جناحا ؟

أنت ذا باقٍ على الرايات .. مصلوبا .. مباحا

تصتر الرياحُ ، وأضلاعك كالروض المصنوخ
تنشهى لذغة الشمس التي تنسج للدفعِ وشاحا !

أنت ذا باقٍ على الرايات مصلوبا .. مباحا
— « اسقني .. »

لا يرفع الجنْدُ سوى كوبِ دم .. مازال يسفح !
— « اسقني .. »

— هاك الشراب النبوي ..

أشربه عذبا وقراحا
مثلما يشربه الباكون ..

والماشون في أنشودة الفقر المسلخ !

— « اسقني .. »

لا يرفع الجنْدُ سوى كوبِ دم مازال يسفح !

بيننا « السادة » في بوابة الصمت المملح

يتلقون الرياحا

يلفوها بأطراف العباءات ..

يدقوا في ذراعيها المسامير ..

وتبقى أنت

(ما بين خيوط الوشي)

زرأ ذهبياً

يتأرجح !

وقف « الأغراب » في بوابة الصمت المملح

يشهرون الصلَفَ الأسودَ في الوجهِ سلاحاً

ينقلون الأرضَ : أكياساً من الرمل .

وأكداساً من الظل

على ظهر الجواذِ العربيِّ المُتَرَجِّحِ !

ينقلون الأرضَ ..

نحو الناقلاتِ الراسياتِ — الآن — في البحرِ

التي تنوى الرواحا

دون أن تطلقَ في رأسِ الحصانِ

طلقةَ الرحمةِ ،

أو تمنحه بعضَ امتنان !

عِمْ صباحاً أيها الصقرُ المُجَنِّحُ

عِمْ صباحاً.

سنةً تمضي ، وأخرى سوف تأتي .

فمَنى يقبل موتى ..

قبل أن أصبحَ — مثل الصقرِ —

صقراً مستباحاً ؟!

قالت امرأة في المدينة

(١)

سيف جدى على حائط البيت .. يبكى :

وصورته في ثياب الركوب !

(٢)

قالت امرأة في المدينة

من ذلك الأموي الذي يباكي على دم عثمان !

من قال إن الخيانة تنجب غير الخيانة ؟

كونوا له يا رجال ..

أم تحبون أن يتغيا أطفالكم تحت

سيف ابن هند ؟

ربما ردت الريح — سيدتي — نصف رد

ضاع .. واهلته الرمال !

نحن جيل الحروب ..

نحن جيل السباحة في الدم ..

ألقت بنا السفن الورقية فوق ثلوج العدم

(قبضات القلوب —

وحدها — حطمتها .. ومازال فيها الأسى والندوب ..)

نحن جيل الألم

لم تر القدس إلا تصاوير

لم نتكلم سوى لغة العرب الفاعين

لم نتسلم سوى راية العرب النازحين ،

ولم نتعلم سوى أن هذا الرصاص

مفاتيح باب فلسطين

فاشهد لنا باقلم

أنا لم ننم

أنا لم نقف بين « لا » و « نعم »

ما أقل الحروف التى يتألف منها اسمُ ما ضاعَ من وطني .
واسمُ من مات من أجله

من أبح أو حبیب !

هل عرفنا كتابةً أسمائنا بالمدايد

على كتبِ الدرس ؟

ها قد عرفنا كتابة أسمائنا

بالأظافر في غرفِ الحبس

أو بالدماء على جيفة الرمل والشمس ،

أو بالسواد على صفحات الجرائد قبل الأخيرة .

أو بمحداد الأرامل في ردهات (المعاشات) ،

أو بالغبائر الذى يتوالى على الصور

المنزلية للشهداء

الغبائر الذى يتوالى على أوجه الشهداء ..

إلى أن .. تغيب !!

قالت امرأة في المدينة :

من يجرؤ الآن أن يخفض العلمَ القرمزى

الذى رفعته الجماجم ،

أو يبيع رغيفَ الدم الساخن المتخثر فوق الرمال .

أو يمدّ يداً للعظام التى ما استكانت
(وكانت رجال ..)

كى تكونَ قوائمٌ سائدةٌ للتواقيع

أو قلماً

أو عصا في المراسم ؟

... ..

لم يجيبها أحد ..

غيرُ سيفٍ قديم ..

وصورة جذا

إلى محمود حسن إسماعيل
في ذكره

واحد من جنودك يا سيدى .
قطعوا يوم مؤتة منى اليدين
فاحتضنت لواءك بالمرفقين
واحتسبت لوجهك مستشهدى !

واحد من جنودك — يا أيها الشعر —
هل يصل الصوت ؟
(والريح مشدودة بالمسامير !)
هل يصل الصوت ؟
(والعصافير مرصودة بالنواطير !)

هل يصل الصوت ؟
أم يصل الموت ؟
قل لى ، فإنى أناديك
من زمن الشعراء — الأناشيد
للشعراء — السجاجيد
من زمن الشعراء — الصعاليك
للشعراء — المماليك .
أرسم دائرة بالطباشير
لا أتجاوزها !
كيف لى ؟ وأنا أتمزق ما بين رُخين !
والقدمان معلقتان بفخين !
أعياننى الكُرُ والفُرُ
واجتازنى الخير والشرُ
أيسر . تيسرُ ، حتى تعسرُ ، حتى نعثرُ .
أيمن . تيمنتُ ، حتى تيمتُ ، حتى تيمتُ .
أين المقر ؟ وأين المقر ؟
للخفافيش أسماؤها التى تسمى بها !
فلمن تسمى إذا انتسب النور !

والنور لا ينتمى الآن للشمس
فالشمس هالائها تتحلّق فوق العقالات .
هل طلع البدر من يرب أم من الأحمدى ؟
وبانت سعاد ..

تراها تبين من البردة النبوية
أم من قلنسوة الكاهنين الحزّ ؟
واحد من جنودك يا سيدى

ألف بيت وبيت ..
واحتوتك الكويت !

فعرفت بموتك أين غدى !

واحد من جنودك — يا أيها الشعر — !
كلّ الأحبة يرتحلون

فترحل شيئاً فشيئاً من العين ألفة هذا الوطن
تغرب في الأرض . نصبح أغربة في التآيين نتمى

زهور البساتين
لا تزقف في صحيف اليوم إلا أمام العناوين
مرؤها دون أن يطرّف الجفن .

سرعان ما نفتح الصفحات قبيل الأخيرة ،
ندخل فيها نجالس أحرفها ،
فتعود لنا ألفة الأصدقاء ، وذكرى الوجوه
تعود لنا الحيوة ، والدهشة العرّضية
واللون ، والأمن ، والحزن .

هذا هو العالم المتبقى لنا : إنه الصمت
والذكرى ، السواد هو الأهل والبيت .

إن البياض الوحيد الذى نرتجيه
البياض الوحيد الذى نتوحد فيه :

بياض الكفن !

واحد من جنودك يا سيدى
خبزه نجبر ضيق
ماؤه بل ريق

والمات بعينه كالمولد

واحد من جنودك يا سيدى
يركع الآن ينشد جوهرة تنخباً في الوحل
أو قمرأ في البحيرات ،
أو فرساً نافراً في الغمام .

ها هو الآن ، لا نهر يغسل فيه الجروح
وينهل من مائه شربة تمسك الروح
لا منزل لا مقام
فعلى الراحلين السلام
والسلام على من أقام .

• تذييل •

يضم هذا الديوان القصائد الأخيرة التي كتبها أمل دنقل (١٩٤٠ - ١٩٨٣) طوال فترة مرضه الذي صارع أربع سنوات . من أوائل سبتمبر ١٩٧٩ إلى أواخر مايو ١٩٨٣ . ولم نجد لهذا الديوان عنواناً أكثر صراحة من « أوراق الغرفة (٨) » ، فالديوان ينطوي على أوراق أمل الأخيرة ، والغرفة رقم (٨) هي آخر الغرف التي قاض فيها أمل مرضه ، قرابة عام ونصف ، في الدور السابع من « المعهد القومي للأكورام » ، من فبراير ١٩٨٢ إلى يوم رحيله الساعة الرابعة من صباح السبت ، الحادي والعشرين من مايو ١٩٨٣ .

و « الجنوى » هي الورقة الأولى في هذا الديوان ، ولكنها الورقة الأخيرة في رحلة إلهام أمل دنقل ، فقد كتبت في فبراير ١٩٨٣ ، وتنطوي على رؤيا النهاية التي اكتملت دائرياً ، بعد تأملات الغرفة (٨) عام ١٩٨٢ ، تلك التأملات التي صاغتها قصائد : « ضد من » ، و « زهور » (وكانت الكتابة النهائية لكتبتينها في مايو ١٩٨٢) و « لعبة النهاية » (الكتابة النهائية في يونيو ١٩٨٢) و « السرير » (نوفمبر ١٩٨٢)

وهناك قصائد أخرى — في هذا الديوان تنتمي إلى تاريخ مقارب ، منها « الطيور » و « الخيول » ، وقد كتبت كلتاها عام ١٩٨١ ، ولكن أمل ظل يثير ويبدل فيهما — كمعادته في الحرص على أقصى درجات الدقة اللغوية ، وأقصى درجات التجانس البنائي — إلى أن أستقر على الصياغة الأخيرة للطيور في أكتوبر من العام الماضي ، والصياغة الأخيرة للخيول في أواخر ديسمبر من العام نفسه . وعلى العكس من هاتين القصيدتين ، مازالت قصيدته في الذكرى الرابعة لعمود حسن إسماعيل — إبريل ١٩٨١ — تنتظر اللمسة الأخيرة ، ولم تملك سوى أن تستخلصها من آخر مسوداتها .

أما بقية قصائد هذا الديوان فترجع إلى فترة زمنية تمتد من عام ١٩٧٥ . لا تخفى هذه القصائد كل ما كتبه أمل دنقل في الرحلة السابقة على مرضه ، ولكنها كثر ما وجدته السيدة زوجته — عيلة الرويني — من قصائد هذه المرحلة إنساقاً مع الدلالات الأساسية التي ينطوي عليها هذا الديوان .

قصائد متفرقة

إلى صديقة دمشقية

إذا سبائك قائد التار
وصرت محظية ...
فشد شعرا منك في سعار
وافترض عذرية ..
واغرورقت عيونك الزرق السماوية
بدمعة كالصيف ، ماسية
وغبت في الأسوار ؟
فمن ترى يفتح عين الليل بابتسامة النهار ؟

° ° °

مازلت رغم الصمت والحصار
 اذكر عينيك المضيئتين من خلف الحمار
 وبسمة الثغر الطفولية ..
 اذكر امسياتنا القصار
 ورحلة السفح الصباحية
 حين التقينا نضرب الأشجار
 ونقذف الأحجار
 في مساء فسقيه ا

• • •

قلت — ونحن نسدل الأستار
 في شرفة البيت الأمامية :
 لا تبتعد عني
 أنظر الى عيني
 هل تستحق دمعاً من أدمع الحزن ؟

ولم أجبك ، فالمباخر الشامية
 والحب والتذكار
 طفت على لحنى
 لم تبق منى وهم ، أغنيه ا
 وقلت ، والصمت العميق تدقه الأمطار
 على الشوارع الجليدية :
 عدت اليك .. بعد طول التيه في البحار
 أدفن حزني في عير الخصلات الكستنائية
 أسير في جناتك الخضراء الربيعة
 أبلى ريق الشوق من غدرانها ،
 أغسل عن وجهي الغبار !!
 نافحت عنك قائد التار
 رشقت في جواده .. مدية
 لكنني خشيت أن تمسك الأخطار
 حين استعالت في الدجى الرؤبة
 لذا استطاع في سحابة من الغبار
 أن يخطف العذراء .. تاركا على يدي الإزار

كالوهم ، كالغريه !

... ..

(.. مابالنا نستذكر الماضي ، دعى الاطفار ..

لا تنبش الموتى ، تعرى حرمة الأسرار ..)

• • •

ياكم تمت زمرة الأشرار

لو مزقوا تنورة في الخصر .. بنية

لو علموك العزف في القيثارة

لتطريهم كل أم

حتى اذا انقضت أغانيك البمشقية

تناهوك ، القادة الأقزام .. والإنصار

ثم رموك للجنود الانكشارية

يقضون من شبابك الاوطار !

• • •

الآن .. مهما يقرع الاعصار

نوافذ البيت الزجاجية ،

لن ينطفئ في الموقد المكدود رقص النار

تستدق الأيدي على وهج العناق الحار

كبي تولد الشمس التي تختار

في وحشة الليل الشتائية !

أيلول ١٩٦٦

وظلت الأيدي تراوح الملاعق الصغيرة
وظلت الشفاه تلعق الدماء !

عشاء

قصصتهم في موعد العشاء
تطلعو إلى برهة ،
ولم يرد واحد منهم تحية المساء !
... وعادت الأيدي تراوح الملاعق الصغيرة
في طبق الحساء
... ..
نظرت في الوعاء :
هتفت : « ويحكم .. دمي
هذا دمي .. فانتبهوا »
.. لم يأبهوا !

لكننى ..

حين استقرت عينه على :

أدركت رأسى عنه ..

لم أقف على برق عينه الخفيف !

• • •

وحينا تحملنى وأصدقائى فى الطريق .. موجة المرح
ونسترد روحنا فى الضحكات والغناء .

أبصره .. فى الجانب الآخر . يرنو مستخفاً ، باسم
فإن تجاوزناه .. ألقى عقب سيجارته على الطوار
وداسه مخمفاً ..

ثم اختفى ..

كأنه شبح !

وفى طريق العودة الليلى .. ألقاه

يخرج من جوف الظلام فجأة .. على غير انتظار .

كأن باباً — فى الشتاء — مغلقاً .. قد انفتح

كأن تياراً من الهواء

البطاقة السوداء

إلى أنور المعداوى

أراه من نوافذ المترو .. على محطات الوقوف

مستنداً بكتفه اليسرى إلى الجدار

يدير فى أصبعه سلسلة

فضية الأطار

يرقب — باسم — تراجم المناكب القصير

تمسح عيناه زجاج النافذات الأبيض الشفيف ..

كأنه يبحث عن أحد .

كأنه يرقب من شرفته ،

هرولة السارين فى تساقط الأمطار والبرد !

يكنس من أعصاى الدفء .. وينسأه !
.. يمرى ، مدثرا بالمعطف الثقيل ،
هاديء الخطى ،

تلمع فى الظلام عيناه
يسأل — هامسا — عن الوقت بلا اكتراث
ويختفى ..
كأن احدى الشجرات احتضنته ..
صبرته بعض ظلها الكثيف !

وفى سويعات الضحى المشتمسة المعتدلة
حين تنقر العصافير ثمار التوت ،
مستدفئة من لذعة الخريف
أجلس فى المائدة المنعزلة ..
محدثا صديقتى ..
فى ذلك المقهى الريمى الأليف
— حيث يمر النيل راغيا مغنيا
ويرفع الصباح راية الفرح —

مرتشفين من عصير الكلمات .. والنار
معتقنين فى ضمائر الحروف ..
وفجأة ..

يسقط من يدى القدح !
ألحه مددا ساقيه فى المائدة المقابلة
يرمقنى من خلف نظارته السوداء خفية ،
نجبا بسمته خلف صحيفة الصباح .. المهمة !

• • •

وعندما دخلت « بارادى » فى اليوم الاخير
رأيته .. يخرق المقاعد الملقاة .. والأضواء
ويفتح الصنبور
مشعث الشعر ، يضح قلبه بالرعب واللاهث
.. تساقطت — قبل اغتساله — على الحوض النقى بقعة
لكنه لم يكثرث !
رجل فى المرأة شعره الغزير
ثم دنا من جمع اصدقائى الصغير

قلبا عينين ثعلبيتين في الوجوه ، صامتا
وفجأة ..

ألقى إلينا ورقة دون إكتراث
ودون أن يلتفتا ؛

مضى إلى الخارج ..

تاركا على المنضدة الحيرى بطاقته
.. كانت بطاقة سوداء ..

... ..

.. ومات في المساء !

لا أبكيه

مصر لا تبدأ من مصر القرية
إنها تبدأ من أحجار طيبة

إنها تبدأ منذ انطبعت
قدم الماء على الأرض الجديدة .
خلعته .. رفعت الشمس ثقبه .
في الواحد ، في الذات الرحبية .
إنها ليست عصورا فهي الكل
أرضها لا تعرف الموت فما الموت إلا عودة .. أخرى .. قريبة .
حولها الرقص وأعياد الخصوبة .
تعبير القطرة في النيل فمن
وأسترد الماء في الوادى دروبه .
فإذا البحر طواما ، نقرت
وأسترد الماء في مصر العلوبة .
ظمأ البحر إذا ما مد كوبه !
فسقى النيل به — ثانية —

هكذا شمعك يامصر ! له
 مات فيه الموت يوما .. فاهتدى
 أبدا بينى وبقا غيرة
 فاذا راح أبتى ثم ابتى
 وكان الذل في الشعب ضريبة
 وكان الدم نيل آخر
 كل أبنائك يامصر مضوا
 الذى لم يقض في الحرب قضى
 والذى لم يقض في الفأس قضى
 اسمعى في الليل أنات الاسى
 انها اسماء من ماتوا .. ولم
 سيعودون ، فلا تبكى ، فما
 أترى تبكين من مات .. لكى
 والذى مات لكى ينفس في
 ولكى يحتضن الطفل حقيقة
 ولكى يهوى حجاب الخوف عن

دوره الماء ونجواه الرطبة
 هرما للموت يستجل غيوبة
 ناشرا فيه أساه وحروبه
 فانثى الغازى اليه بالعقوبة !
 وأبتسام الصبر قد صار ذنوبه
 تستقى منه الرمال المستطية
 شهداء الغد في نيل وطيبة
 وهو يعطى الفأس والغرس وجيهه
 حاملا أحجار اسوان الرهية
 اسمعى حزن المواويل الكئيبه
 يرحوا القلب فقد صاروا ندوبه
 يرتضى المحبوب ان تبكى الحبيبة
 تستعبدى راية الفكر السليبه
 كل قلب ناشئ حرف العروبة
 ولكى تقتات بالعلم الشبيهه
 روح ربات المجال المستريه

ولكى يرفع سيف العدل في
 والذى لولاه مامرت لنا
 اترى تبكين يامصر ؟ أنا
 شرف الأبناء أن يمضى أب
 شرف للأب أن يمضى فلا
 انما يبكى ضعاف الناس ان

وجه ابناء الممالك الغريبة
 — في عبور النار للحرب — كئيبه
 لست أبكيه وان كنت ربيبه
 بعد أن قدم للمجد نصيبه
 تعترى أبناءه الروح الزغبية
 عجزوا ان يتركوا حجم المصيبة

١٩٧٣ م

العراف الأعمى

قول من أين ؟

الصمت نصيب ..

والكلمات بلا عينين !

... ..

للمنى الليل .. وأدخلنى السرداب

(قدماى نسيتهما عند الاعتاب

ويداى تركتهما فوق الأبواب)

انك لا تدريين

معنى ان يمشى الانسان .. ويمشى ..

(بحثا عن انسان آخر)

حتى تتآكل فى قدميه الأرض ،

وينوى من شفثيه القول !

الآف الأوجه فى وجهى ..

لكنك لا تدريين

أى وجوه تتدلى منها بسمات الزيف

ضائعة المعنى ، متآكلة الانف

... ..

أرشق فى الحائط حد المطواة

والموت يهب من الصحف الملقاة

أتحزأ فى المرآة .

يصفغنى وجهى المتخفى بقناع الذل .

أصفعه .. أصفع هذا الظل

تحل الناس يفارقهم ظلهم عند الليل

الا ظلى

ينسل معى ، يتمدد فوق وسادى المبطل !

البسمة حلم

والشمس هى الدينار الزائف

فى طبق اليوم

من يمسخ عنى عرقى فى هذا اليوم الصائف ؟

والظل الخائف

يتمدد من تحتى ، يفصل بين الأرض .. وبينى !

... ..

وتضاءلت كحرف مات بأرض الخوف :

(حاء .. باء ..)

(حاء .. راء .. ياء .. هاء)

الحرف السيف

مازلت أرود بلاد اللون الداكن

أبحث عنه بين الأحياء الموق .. والموق الأحياء

حتى يرتد النبض الى القلب الساكن

لكن .. !!

... ..

وأخيرا عدت

أحمل فى صدرى صمت الطاعة

وهلا .. ساعة

ماجدوى الساعة فى قوم قد فقدوا الوقت ؟

ورجعت بدون كتاب غير كتاب الموت ،

وضجيج الناس

أغنية .. كقطيعة نعاس :

« لم نولد لنهر الدنيا »

« لم نخلق لنخوض معارك ! »

« نحن ولدنا ..

للالهام ..

للأحلام ..

للصلوات .. »

...

ضمينى فى صدرك .. حتى اتبأ

وأنا لا أكتب .. أو أقرأ !!

نجمة السراب

صديقتى شدت على يدي ..
وقالت : لن أزورَ غُرفَتَكَ
إن شئت .. فلنَتَقِ معاً إلى الأبد .
ولم أَرُدْ
لأن ثوب العرس — في معارض الأزياء —
نجمة تدور في سراب .
ولم أزل أدقُ باباً بعد بابٍ
وخطوئى تهيدة ، وأعيني ضباب
حتى بلغت غرفتى في آخر المطاف
وقطنتى تلذذ ...
مواؤها : عذاب أنثى ليلة المخاض

أنثى وحيدة .. تلذذ .
... وأخلدَ الجيرانُ للسُّكون :

وقطَّعُهم يجلسُ — في الشباك — ناعس العيون
يلعقُ في فرائِهِ المنْقَطَ البَيَاضُ
يلعقُ — عن فرائِهِ — عذابَ قطنى الممتدِّ
.. سعت إليه ذات ليلة ،
ولم تسلهُ ثوباً للزفاف !
لأن ثوبَ العرسِ

— في معارض الأزياء —
نجمة تدور في سراب !!

أيدوم النهر

أيدوم لنا بستان الزهر
والبيت الهاديء عند النهر
ان يسقط خاتمنا في الماء
ويضيع .. يضيع مع التيار
وتفرقنا الأيدي السوداء ..
ونسير على طرقات النار ..
لا نجرؤ تحت سياط القهر
ان نلقى النظرة خلف الزهر
ويغيب النهر .

أيدوم لنا البيت المرح
نتخاصم فيه ونصطليح
دقات الساعة والمجهول
تتباعد عني حين اراك
وأقول لزهر الصيف .. اقول
لو ينمو الورد بلا اشواك
ويظل البدر طوال الدهر
لا يكبر عن منتصف الشهر
آه يا زهر ..
لو دمت لنا ..
أو دام النهر .

مقدمة بقلم الدكتور عبد العزيز المقالح ٥

مقتل القمر ٤٣ .

الاهداء ٤٥ .

براءة ٤٧ .

طفلتها ٥٠ .

المطر ٥٧ .

قلبي والعيون الخضر ٦٠ .

يا وجهها ٦٥ .

مقتل القمر ٦٨ .

شيء يحترق ٧٢ .

قالت ٧٥ .

ماريا ٧٧ .

استريجي ٨٢ .

العار الذي نتقيه ٨٥ .

رسالة من الشمال ٨٧ .

١٤٩	الموت في لوحات
١٥٣	بطاقة كانت هنا
١٥٧	ظماً .. ظماً
١٦١	الحزن لا يعرف القراءة
١٦٤	بكائية الليل والظهيرة
١٦٩	اشياء تحدث في الليل
١٧٢	العشاء الاخير
١٨٠	حديث خاص مع ابي موسى الاشعري
١٨٦	من مذكرات المتنبى
١٩١	تعليق على ما حدث
١٩٣	في انتظار السيف !
١٩٧	فقرات من كتاب الموت
٢٠١	الحداد يليق بقطر الندى
٢٠٥	صفحات من كتاب الصيف والشتاء
٢١٠	تعليق على ما حدث في مخيم الوحدات
٢١٣	ميتة عصرية

٩٢	اوتوجراف
٩٤	شبيبتها
٩٧	العينان الخضراوان
	Petit Terianor
٩٩	الملهى الصغير
١٠٥	البكاء بين يدي زرقاء اليمامة
١٠٧	ديباجة
١٠٨	بكائية ليلية
١١٠	كلمات سبارتكوس الاخيرة
١١٧	الأرض .. والجرح الذي لا يفتح
١٢١	البكاء بين يدي زرقاء اليمامة
١٢٧	ايلول
١٣١	السويس
١٣٥	يوميات كهل صغير السن
١٤٣	اجازة فوق شاطئ البحر
١٤٦	موت مغنية مغمورة

اقوال جديدة غن سرب اليسوس . . . ٣٢١

مقتل كليب . . . ٣٢٣

لا تصالح . . . ٣٢٤

اقوال اليمامة . . . ٣٣٧

مراثي اليمامة . . . ٣٤١

اشارات تاريخية . . . ٣٤٩

تذييل . . . ٣٥٤

اوراق الغرفة (٨) . . . ٣٥٧

الورقة الاخيرة الجنوبي . . . ٣٦٠

ضد من . . . ٣٦٨

زهور . . . ٣٧٠

السري . . . ٣٧٢

لعبة النهاية . . . ٣٧٥

ديسمبر . . . ٣٧٨

الطيور . . . ٣٨٣

الوقوف على قدم واحدة . . . ٢١٨

رباب . . . ٢٢١

حكاية المدينة الفضية . . . ٢٣٣

الضحك في دقيقة الحداد . . . ٢٤١

الموت . . في الفراش . . . ٢٤٨

لا وقت للبكاء . . . ٢٥٥

العهد الآتي . . . ٢٦١

صلاة . . . ٢٦٥

سفر التكوين . . . ٢٦٧

سفر الخروج . . . ٢٧٤

سرحان لا يتسلم مفاتيح القدس . . . ٢٨١

سفر الف دال . . . ٢٨٦

مزامير . . . ٢٩٨

من اوراق ابو نواس . . . ٣٠٨

رسوم في هو عربي . . . ٣١٥

خاتمة . . . ٣١٨

الخيلول	٣٨٧
مقابلة خاصة مع ابن نوح	٣٩٣
خطاب غير تاريخي على قبر صلاح الدين	٣٩٧
بكائية لصقر قریش	٤٠٠
قالت امرأة في المدينة	٤٠٤
الى عمود حسن اسماعيل في ذكره	٤٠٨
تذليل	٤١٣
قصائد متفرقة	٤١٥
الى صديقة دمشقية	٤١٧
عشاء	٤٢٢
البطاقة السوداء	٤٢٤
لا أبكيه	٤٢٩
العراف الاعمى	٤٣٢
نجمة السراب	٤٣٦
ايدوم النهر	٤٣٨